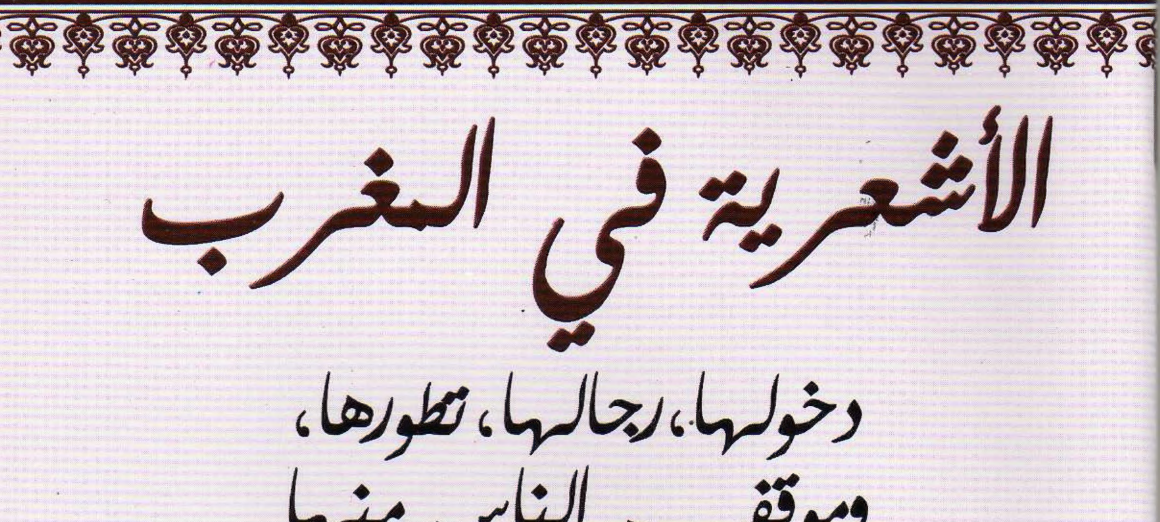


دراسات في العقيدة الإسلامية

الدكتور: إبراهيم التهامي



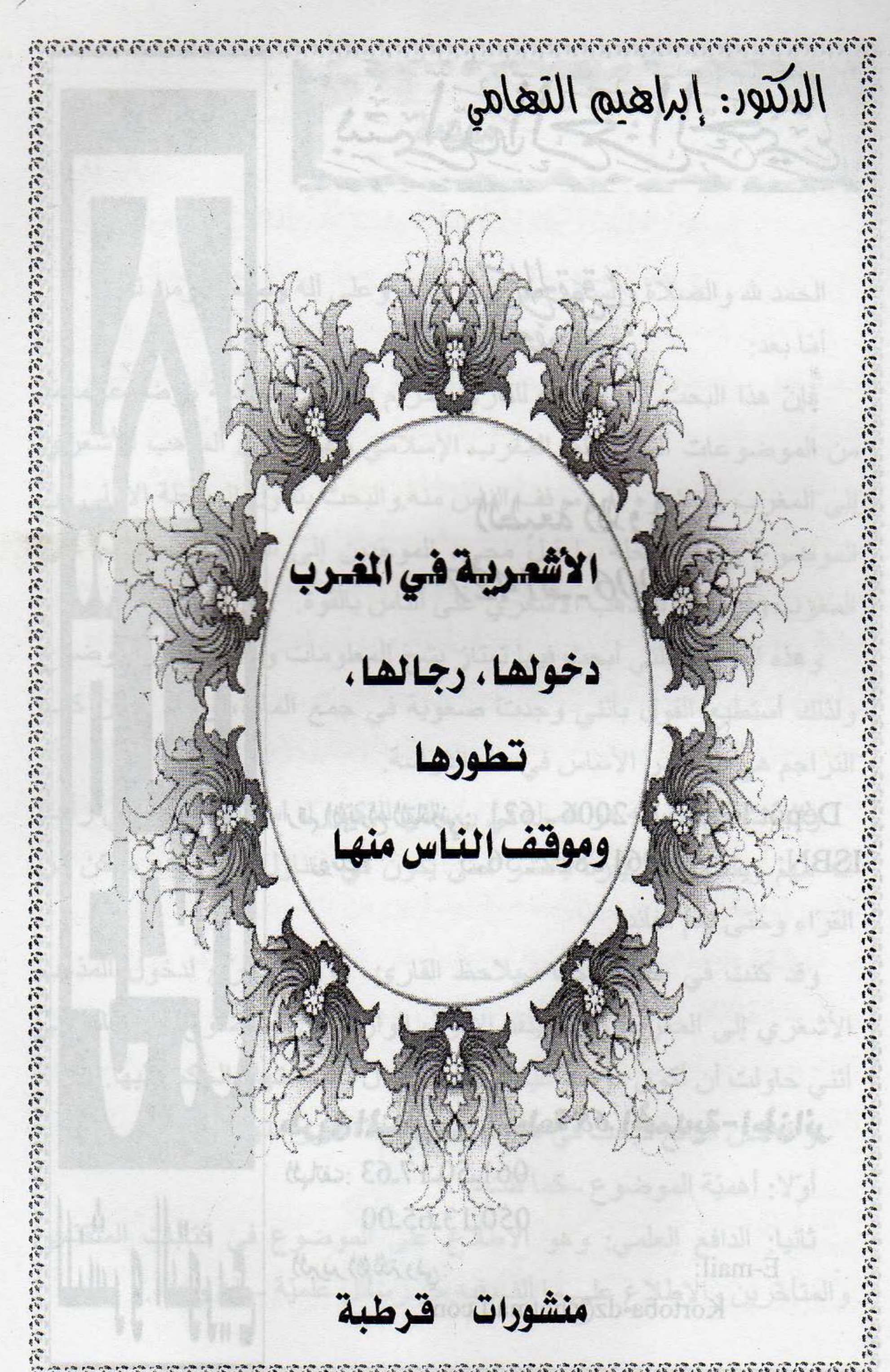
الأشعرية في المغرب

دخولها، رجالها، تطورها، وموقف الناس منها





دار قرطبة



الدكتور: إبراهيم التهامي

الأشعرية في المغرب

دخولها، رجالها، تطورها وموقف الناس منها

منشورات قرطبة

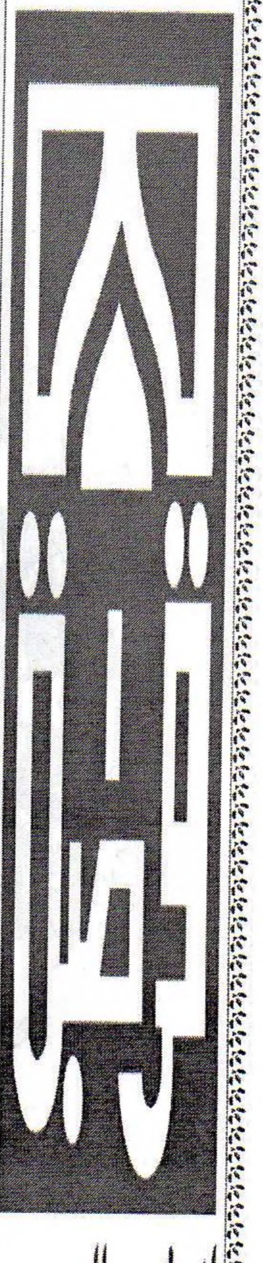
بسم الله الرحمن الرحيم

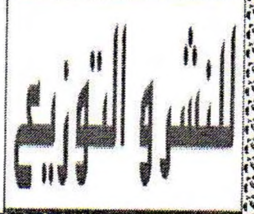
الطبعة الأولى

1427هـ - 2006م

رقم الإيداع القانوني: 621 ـ 2006 Dépôt légal:

رومك: 5ـ 56ـ 812ـ 9961 ISBN:





طريق المندرين، قطعة 68. المحمدية - الجزائر

الهاتف: 63ـ17ـ50ـ061

00ـ65ـ13ـ050

البريد الإلكتروني: E-mail:

Kortoba-dz@hotmail.com

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تولاّه.

أمّا بعد:

فإنّ هذا البحث الذي أقدّمه للقارئ الكريم يتناول بالدراسة موضوعا مهمّا من الموضوعات التي تتعلق المغرب الإسلامي وهو دخول المذهب الأشعري إلى المغرب وانتشاره به وموقف الناس منه.والبحث يتناول المرحلة الأولى من الموضوع وهي مرحلة ما قبل مجيء الموحّدين إلى الحكم واستيلائهم على المغرب وفرضهم للمذهب الأشعري على الناس بالقوة.

وهذه المرحلة التي أبحث فيها تمتاز بشحّ المعلومات وندرتها عن الموضوع ولذلك أستطيع القول بأنني وجدتّ صعوبة في جمع المادة، وتكاد تكون كتب التراجم هي المصدر الأساس في هذه الدّراسة.

والبحث في حقيقته هو فصل في رسالتي للدّكتوراه استللته منها لأنّني رأيت أنّه مهمّ ويستحقّ أن يفرد بالنشر حتى يكون في متناول أكبر عدد ممكن من القرّاء وحتى تعمّ الفائدة.

وقد كنت في بحثي -كما سيلاحظ القارئ- مؤرّخا يؤرّخ لدخول المذهب الأشعري إلى المغرب وناقدا ينقد الأقوال الواردة في الموضوع بالإضافة إلى أنّني حاولت أن أكون موضوعيا في نقل الأقوال ومناقشتها والحكم عليها.

و قد كان الدافع للبحث في هذا الموضوع عدّة أمور منها:

أوّلا: أهميّة الموضوع -كما قلت-.

ثانيا: الدافع العلمي: وهو الاطلاع على الموضوع في كتابات المتقدّمين والمتأخّرين والاطلاع على ما ألف فيه من رسائل علميّة – إن وجد-.

ثالثا: التعريف بجانب من جوانب التفكير –و هو الجانب العقدي- عند المغاربة.

أما الموضوعات التي تناولتها بالبحث فهي كثيرة لعلّ من أهمّها:

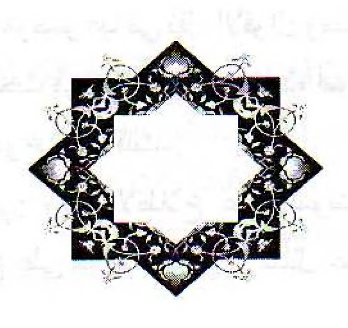
- الحالة العقديّة في المغرب قبل دخول المذهب الأشعري.
- دور ابن تومرت في نشر المذهب الأشعري.
- البدايات الأولى لدخول المذهب الأشعري إلى المغرب.
- الرجال الذين أدخلوا المذهب الأشعري.
- الوسائل التي انتشر بها المذهب.
- الرجال الذين كان لهم الدّور في تطوير المذهب بالمغرب.
- الموقف من المذهب في البداية وفي النهاية.

هذا، وإنّني أرجو أن أكون بهذا العمل قد وفقت في التعريف بجانب من الفكر العقدي في الجزء الغربي من العالم الإسلامي الفسيح، كما أتمنّى أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وأن يكون في ميزان حسناتي يوم القيامة إنّه ربي نعم المرجو والمسؤول.

و كتبه الدكتور / إبراهيم التهامي

المدية في 05 / رجب / عام 1424

الموافق لـ: 03 سبتمبر 2003



دخول الأشعرية إلى المغرب وانتشارها به

لقد ظل المغرب الإسلامي على مذهب السلف في الاعتقاد بظواهر النصوص والصفات الواردة فيها من غير تأويل ولا صرف لها عن مدلولها اللغوي مع التنزيه للخالق عز وجل وذاته العلية عن أن تشبه الذوات وتتصف بصفات المخلوقين، وكذا القول في الوجه واليدين والعين والنزول والمجيء والضحك وغيرها مما ورد إطلاقه على الله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة، فإنهم يمرونه على ظاهره ولا يؤولونه بالذات والقدرة فرارا من الافتئات على الشارع الذي عبر بذلك، ولكنهم يعتقدون التنزيه ومخالفته تعالى للحوادث.

وظل الأمر على ذلك إلى عهد ابن تومرت ورجوعه من رحلته المشرقية حيث عمل على تحويل الناس عن مذهب السلف إلى المذهب الأشعري، وقد تحدث غير واحد من علماء المغرب والمشرق ممن تناول هذه المرحلة بالدراسة والبحث، أو تناول شخصية ابن تومرت، تحدثوا عن دور ابن تومرت الكبير في تحويل المغرب إلى مناهج المتكلمين من الأشاعرة في الاعتقاد.

من ذلك ما قاله الناصري بعد أن تحدث عن حال أهل المغرب في الأصول والاعتقادات قبل ابن تومرت: ((فبعد أن طهره الله (أي المغرب) من فرقة الخارجية والرافضة ثانيا أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل[1] مع

---

[1] التأويل في اللغة: المآل والمصير، ومنهم من يقول إنه بمعنى التفسير والتبيين، وفي اصطلاح المتكلمين: نقل الكلام عن موضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل، وقال ابن الأثير: هو نقل اللفظ عن موضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، وينقل الزبيدي عن السبكي قوله: إن التأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فإن حمل لدليل فصحيح أو لما يظن دليلا ففاسد أو لا لشيء فلعب لا تأويل.

التنزيه عن الظاهر، وهو والله أحسن المذاهب وأفضلها، واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين، فرحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه، ثم عاد ابن تومرت إلى المغرب ودعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة، وجزم بتضليل من خالفها، بل تكفيره، وسمى أتباعه بالموحدين تعريضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد.

ومن ذلك الوقت أقبل علماء المغرب على اعتناق مذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفا، وإن كان قد ظهر بالمغرب قبل ابن تومرت فظهورا ما))[1]، وإلى ذلك يشير ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: ((وانطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين، وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدر أهل البدعة، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه والاعتقاد بمذهب السلف في ترك التأويل وإقرار المتشابهات كما جاءت، فبصّر المهدي أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد))[2].

انظر: تهذيب اللغة للأزهري: 458/15، تاج العروس: 215/7، النهاية في غريب الحديث: 280/1، هذا في اللغة أما في اصطلاح الفقهاء والمتكلمين فهو لا يختلف عنه في اللغة فهو (صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تحتمله إذا كان هذا المعنى الذي تصرف إليه الآية موافقا للكتاب والسنة)، وعن موقف العلماء من التأويل عند المتكلمين وغيرهم ينظر: ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل للجليند (ص51) طبعة الهيئة العاملة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (1393/1973).

(1) الاستقصاء: 63/1.

(2) مقدمة ابن خلدون.

وهناك نصوص أخرى كثيرة في هذا المعنى عن الإمام الذهبي الذي يقول: ((وكان ابن تومرت لهجًا بعلم الكلام، خائضا في مزالّ الأقدام، ألف عقيدة لقبها بالمرشدة فيها توحيد وخير بانحراف، فحمل أتباعه عليها وسماهم الموحدين ونبز من خالف المرشدة بالتجسيم وأباح دمه، نعوذ بالله من الغي والهوى)). سير أعلام

من هذه النصوص نخلص إلى أن أهل المغرب كانوا في الجانب العقدي على طريقة أهل السنة والجماعة، حتى جاء ابن تومرت فحولهم عن هذه الطريقة إلى طريقة أهل الكلام وحملهم عليها حملا بعد ما كانت -قبل ذلك- منحصرة في آحاد الناس، وكان ظهورها ظهورا ما.

وهذا لا يعني أنه لم يوجد من العلماء من تأثر بمذهب الأشعري قبل ذلك -قليلا كان أو كثيرا- وتأثر بطريقة رجاله في الجدل، وفي تفسير المسائل المتعلقة بصفات الله تعالى وأسمائه إلا أن تأثرهم هذا كان في نواح جزئية منه فقط، أما وجود المذهب بشكله المتكامل فكان يواجه بالمعارضة الشديدة، وهو ما يبرزه موقفهم من ابن تومرت حين قدومه من المشرق وشروعه في بث هذا المذهب بين أهل المغرب.

ولعل السبب في عدم وجود المذهب متكاملا إلى هذا العهد يرجع بالدرجة الأولى إلى المذهب الأشعري نفسه، فعلى قول كثير من العلماء أن هذا المذهب لم تكتمل أسسه على يد مؤسسه الأول، بل بقي يتطور حتى اكتمل على يد الإمام الجويني والإمام الغزالي.

فعلى قول هؤلاء، فإن الإمام الأشعري وقدماء أصحابه كانوا يثبتون الصفات الخبرية، ولكن المتأخرين هم الذين كانوا ينفونها، حيث يقول الإمام ابن تيمية: ((فالأشعري وقدماء أصحابه كانوا يقولون: إنه بذاته فوق العرش وهو مع ذلك ليس بجسم))[1].

ويقول أيضا: ((وهؤلاء الذين ينفون الصفات كأبي المعالي وأتباعه، فإن

النبلاء: 19/540-541.

وعن اليسع بن حزم الذي ينقل عنه الذهبي قوله فيه: ((سمى ابن تومرت المرابطين بالمجسمين، وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب وصفه، مع ترك خوضهم عما تقصر العقول عن فهمه -إلى أن يقول- فكفرهم ابن تومرت لجهلهم العرض والجوهر، وأن من لم يعرف ذلك لم يعرف المخلوق من الخالق)). سير أعلام النبلاء: 19/550.

[1] منهاج السنة النبوية: 2/326.

الأشعري وأئمة أصحابه يثبتون الصفات الخبرية وهؤلاء ينفونها))[1]، ويقول أيضا: ((والأشعري وأئمة أصحابه كأبي الحسن الطبري[2] وأبي عبد الله مجاهد[3] والقاضي أبي بكر متفقون على إثبات الصفات الخبرية التي ذكرت في القرآن كالاستواء والوجه واليد وإبطال تأويلها وليس له في ذلك قولان أصلا.

ولم يذكر أحد عن الأشعري في ذلك قولين أصلا، بل جميع من يحكي المقالات من أتباعه وغيرهم يذكر أن ذلك قوله، ولكن لأتباعه في ذلك قولان، وأول من اشتهر عنه نفيها أبو المعالي الجويني، وله في تأويلها قولان: ففي الإرشاد أولها، ثم إنه في الرسالة النظامية رجع عن ذلك وحرم التأويل، وبيَّن إجماع السلف على تحريم التأويل، وأما الأشعري وأئمة أصحابه فإنهم مثبتون لها يردون على من ينفيها أو يقف فيها فضلا عمن يتأولها))[4].

وفي ترجمته للإمام الباقلاني من كتابه الممتع "سير أعلام النبلاء" بيَّن الإمام الذهبي أن هذا الإمام -وهو رأس الأشعرية في وقته- كان على طريقة السلف في إثبات صفات الله تعالى، وكان يناظر عنها ضد المعتزلة والرافضة والقدرية، وكان يرد على الكرّامية[5] وينصر الحنابلة عليهم.

---

(1) نفس المصدر: 328/2.

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري، صحب أبا الحسن الأشعري مدة وأخذ عنه وتخرج به واقتبس منه، صنف عدة تصانيف تدل على علم واسع وفضل بارع، توفي في حدود سنة 380.

مصادر ترجمته: تبيين كذب المفتري: ص195-196، طبقات الشافعية الكبرى: 468/3 رقم: 229، معجم المؤلفين لرضا كحالة: 234/7.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري، قدم بغداد وصنف التصانيف ودرّس علم الكلام وأخذ عنه الباقلاني، توفي سنة 370.

مصادر ترجمته: تاريخ بغداد 343/1 رقم: 261، تبيين كذب المفتري ص177، سير أعلام النبلاء: 305/16 رقم: 214، شذرات الذهب 47/3-47، الديباج المذهب: 210/2-211.

(4) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: 11/2.

(5) الكرّامية: هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرّام بن عوان بن حزبة السجستاني المتوفي سنة 255، وهم يوافقون السلف في إثبات الصفات، ولكنهم يبالغون في ذلك إلى حد التشبيه والتجسيم، ويوافقونهم أيضا في إثبات القدر والقول بالحكمة، ولكنهم يوافقون المعتزلة في وجوب معرفة الله تعالى بالعقل وفي الحسن والقبح العقليين، ويوافقون المرجئة في القول بأن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب.

انظر عنهم: لسان الميزان: 303/5-356، ميزان الاعتدال: 24/4، الفصل لابن حزم: 54/4، 2.4 502،

وينقل عن الباقلاني ما يؤكد رأيه هذا حيث يقول: ((فإن قيل: فما الدليل على أن لله وجها ويدا؟ قيل: قوله تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾، وقوله: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص: 75])).

ثم قال: ((فإن قيل: فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه))، وقال في موضع آخر: ((قد بينا دين الأمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجنيس ولا تصوير)).

قال الإمام الذهبي تعليقا على هذا الكلام: ((فهذا المنهج هو طريقة السلف، وهو الذي أوضحه أبو الحسن (الأشعري) وأصحابه، وهو التسليم بنصوص الكتاب والسنة، وبه قال الباقلاني وابن فورك[1] والكبار إلى زمن أبي المعالي الجويني ثم زمن الشيخ أبي حامد فوقع اختلاف وألوان، نسأل الله العفو))[2].

من هذه النصوص مجتمعة نستنتج أن المذهب الأشعري لم يصل إلى صورته الأخيرة إلا على مراحل، أما الرجال الذين أسسوا المذهب فقد كانوا على منهج السلف في الصفات[3]. ومهما يكن الأمر فالذي يهمنا -نحن- في

التبصير في الدين: ص56-07، الخطط للمقريزي: 943/2، 357.

(1) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، متكلم فقيه مفسر أصولي أديب نحوي واعظ لغوي عارف بالرجال، أقام بالعراق مدة وكثر سماعه بالبصرة وبغداد وحدث بنيسابور، من تصانيفه الكثيرة: "دقائق الأسرار"، "مشكل الآثار"، "تفسير القرآن"، مات مسموما سنة 406.

مصادر ترجمته: تبيين كذب المفتري ص232، وفيات الأعيان: 272/4-273 رقم: 61، سير أعلام النبلاء: 214/17-216 رقم 125، طبقات السبكي: 127/4-135 رقم: 316.

(2) سير أعلام النبلاء: 558/17.

(3) يجب التفرقة بين الإمام الأشعري والأشاعرة ، فالإمام الأشعري كان على مذهب السلف، ولكن أتباعه خالفوه في قضايا كثيرة ونفوا عنه ما قال به من موافقة السلف، فمما خالفوه فيه قضية معرفة الصانع والطريق إليها، يقول ابن تيمية: ((إن الأشاعرة خالفوا الأشعري في الاستدلال على وجود الصانع فأثبتوا القول بالجواهر والأعراض، والأشعري يرى أنه بدعة في الشرع)).

وخالفوه في الصفات الخبرية: يقول ابن القيم: ((إن الأشاعرة خالفوا الأشعري في الصفات الخبرية مثل الاستواء والعلو والنزول... مع أن الأشعري صرح بإثبات ذلك في مؤلفاته كلها)) انظر الصواعق المرسلة: ص346.

وخالفوه في مسألة القرآن: يقول العضد الإيجي -صاحب المواقف-: ((إن ما ذهب إليه المتأخرون من الأشاعرة في مسألة القرآن لا يتفق مع مذهب الأشعري)) المواقف 103/8، ط1، 1325، مطبعة السعادة.

المقام الأول في بحثنا هو انتشار هذا المذهب في المغرب الإسلامي والسبل التي دخل منها إليه.

والواقع أنه ليس لدينا معلومات كافية نستطيع أن نكوّن منها رأيا واضحا فيما يتعلق بصدى الأشعرية بالمغرب الإسلامي قبل دعوة ابن تومرت، ولكن هناك إشارات متفرقة في كتب التاريخ والتراجم تؤلف في مجموعها أرضية يمكن الاعتماد عليها في تكوين فكرة حول هذا الموضوع.

أما مؤلفات بعض العلماء الذي ذكر أنهم كانوا متأثرين بالأشعرية والتي تعتبر المنطلق الصحيح لتدقيق الرأي في هذه المسألة فإن أغلبها مفقود أو في حكم المفقود، وقد بالغ بعض الباحثين ليحكم -من خلال تلك الإشارات- وفي شيء من القطعية بأشعرية المغرب قبل أوائل القرن السادس، أمثال الشيخ زاهد الكوثري -رحمه الله- الذي اعتمد على إشارات في كتاب "تبيين كذب المفتري" لابن عساكر الذي جاء فيه أن بعض تلاميذ الباقلاني توجه إلى المغرب فنشر به العلم وانتفع به أهل القيروان وترك بها تلاميذ مبرزين مشاهير[1] ليعلن -كما قلت- في شيء من القطعية أنه ((دانت للسنة على الطريقة الأشعرية أهل البسيطة إلى أقصى بلاد إفريقية، وقد بعث الباقلاني في جملة ما بعث من أصحابه إلى البلاد أبا عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري[2] إلى الشام ثم القيروان وبلاد المغرب، فدان له أهل العلم من أئمة المغرب وانتشر المذهب

هذه بعض القضايا التي خالف فيها متأخرو الأشعرية إمامهم والله أعلم.

[1] تبيين كذب المفتري ص120، 217.

[2] هو أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري -بفتح الهمزة وفتح الذال نسبة إلى أذربيجان وهو إقليم واسع من مدنه المشهورة تبريز، وقيل في النسبة أذري -بسكون الذال- لأنه عند النحويين مركب من أذر وبيجان، وقيل في النسبة إليه: أذربي -بفتح الهمزة والذال وسكون الراء- وتجدر الإشارة إلى أن هذه النسبة تصحفت في كثير من المصادر التي ترجمت له إلى (أزدي)، وهي خطأ- نزيل القيروان المتكلم الأشعري تلميذ القاضي الباقلاني، قدم إلى المغرب واستوطن به إلى أن توفي سنة 423.

مصادر ترجمته: ترتيب المدارك: 2/586-589، معجم البلدان لياقوت الحموي 1/159 مادة أذربيجان، تاج العروس: 9/119.

إلى صقلية والأندلس))[1].

ومما لا شك فيه أن أهل المغرب عرفوا المذهب الأشعري منذ وقت مبكر، وربما في عهد مؤسسه نفسه، أما اعتناق الطريقة الأشعرية في التصور العقدي فلم يكن وجوده بالمغرب قبل المهدي ابن تومرت إلا وجودا محدودا في آحاد الأفراد، إذا استثنينا ما ذكره ابن حزم في فِصَلِه[2] من ((أن الأشعرية قامت لهم سوق بصقلية والقيروان ثم رق أمرهم والحمد لله رب العالمين)).

وسأحاول في هذا المبحث -من خلال تلك الإشارات- أن أرسم خطا بيانيا لدخول الأشعرية وتطورها بالمغرب الإسلامي.

لقد كانت القيروان المركز الأساسي لتقبل الأشعرية ونشرها -قبل منتصف القرن الخامس الهجري- لأنها كانت خلال هذه المرحلة نقطة الإشعاع العلمي على كافة أنحاء المغرب بما فيه الأندلس، حيث كان يفد إليها الطلبة من كل جهة لتلقي العلم بها، سواء ما أنتجه علماؤها أو ما جلبوه معهم من المشرق خلال رحلتهم، كما كانت القيروان مرحلة مهمة من مراحل الرحلة إلى المشرق لأهل المغرب، حيث كانت تقع في طريقهم، فكانوا يمرون عليها أثناء الرحلة وأثناء العودة فيحصل لهم علم كثير بملاقاة رجال العلم الذين كانت تزخر بهم[3].

لقد ظهرت بذرة الأشعرية في المغرب -كما يرى بعض الباحثين- نتيجة الحاجة إلى طرائق الاستدلال التي اشتهر بها الأشاعرة في جدال الفرق

---

(1) انظر مقدمة محمد زاهد الكوثري على كتاب "تبيين كذب المفتري" ص15.

(2) 204/4.

(3) عن علاقة القيروان ببلاد المغرب ينظر: جعفر ماجد، العلاقات الأدبية بين قرطبة والقيروان في القرن الرابع والخامس للهجرة، حوليات الجامعة التونسية عدد13، سنة 1976، ص102. وينظر أيضا: محمد المنوفي في: ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس، مجلة المناهل المغربية عدد6، سنة 1966، ص244. وكذلك مقال: مساهمة الأفارقة (التونسيين) في الحياة الثقافية بالأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، حوليات الجامعة التونسية، عدد20، سنة 86، ص7. وأيضا مقال: القيروان والمغرب لمحمد العروسي، مجلة الفكر التونسية، عدد5، سنة 1966، ص21.

المختلفة[1].

ولما كان المغرب الإسلامي يعج بالفرق المختلفة، الخوارج والشيعة والمعتزلة فقد رحل أهل المغرب إلى المشرق للحج ثم ملاقاة رجال الأشعرية.

ولعل أول رجل عرف الأشعرية في المغرب هو إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (ت 359)، والمعروف بمواقفه القوية ضد الشيعة والتي أوذي من أجلها، فقد ذكر البرزلي (ت844)[2] أنه كان من مشايخ الأشعرية، ونسب إليه بعض آراء الأشعري التي أدخلها القيروان[3].

ورجل آخر غرف الأشعرية في وقت مبكر هو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (ت357)[4].

فقد رحل إلى المشرق والتقى بأئمة الأشعرية وأخذ عنهم ثم حل بالقيروان حيث درّس بها، ثم استقر بفاس ونشر بها علمه.

وحتى الإمام ابن أبي زيد القيرواني (ت386) فقد رحل إلى المشرق والتقى بأئمة الأشعرية، وأخذ عنهم أمثال درّاس بن إسماعيل -الذي تقدم ذكره- وأبي بكر أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن[5].

كما كان وثيق الصلة بتلميذ أبي الحسن الأشعري أبي محمد بن أحمد بن

---

[1] انظر: كتاب المهدي بن تومرت للنجار، ص433.

[2] هو أحمد بن محمد بن المعتل البلوي القيرواني المالكي الشهير بالبرزلي، كان فقيها مشاركا في أنواع من العلوم، رحل إلى القاهرة وصار إماما بالزيتونة بعد عودته وأفتى ووعظ وتوفي بتونس سنة844 ، من تصانيفه: "النوازل والفتاوى".

مصادر ترجمته: الحلل السندسية: 1/3/701-703، د.محمد الحبيب الهيلة، ط الدار التونسية للنشر، سنة 1970. شجرة النور الزكية: ص245، رقم879، الضوء اللامع 433/1، معجم المؤلفين: 158/2، 94/8، تراجم المؤلفين التونسيين: 115/1-118.

[3] المهدي ابن تومرت، ص434 نقلا عن البرزلي في جامع مسائل الأحكام: 91/1ظ.

[4] هو أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي الفقيه الحافظ النظار المعروف بالعلم والصلاح، له رحلة حج فيها وسمع من ابن أبي مطر ومن ابن اللبان وغيرهما، وعنه أخذ القابسي وابن أبي زيد القيرواني وهو أول من أدخل مدونة سحنون إلى مدينة فاس، توفي سنة 357.

مصادر ترجمته: شجرة النور الزكية: ص103 رقم الترجمة: 263، الفكر الإسلامي: 115/4، 125.

[5] لم أعثر له على ترجمة.

مجاهد (ت370)، وكانت بينهما مراسلات وتبادل كتب ويذكره الباقلاني فيقول: ((شيخنا))[1].

ومن كتب ابن مجاهد التي دخلت إلى المغرب "رسالة فيما التمسه فقهاء أهل الثغر من شرح أصول مذاهب المتعبدين للكتاب والسنة"[2]، وكتاب "الرسالة في عقود أهل السنّة" وقد ذكر العلماء رسالة كتبها ابن أبي زيد القيرواني في الرد على المعتزلي، والتي ذكر فيها أبا الحسن الأشعري ودافع عنه وبرأه مما رماه به المعتزلي مما هو بريء منه مما جرت به عادة المعتزلة باستعمال مثله في حقه، من ذلك قوله عن أبي الحسن الأشعري: ((هو رجل مشهور أنه يرد على أهل البدع وعلى القدرية والجهمية متمسك بالسنة))[3]، وقال أيضا: " وأمّا لعن العلماء لأئمة الأشعريّة فمن لعنهم عزّر وعادت اللعنة عليه، فمن لعن من ليس أهلا للعنة وقعت اللعنة عليه، والعلماء أنصار فروع والأشعريّة أنصار الدين"[مجموع فتاوى ابن تيمية: 16/4]

ولكن -رغم ذلك- فإنك لا تجد في كتاباته ما يشير من قريب أو من بعيد إلى تأثره بالطريقة الأشعرية، بل كان على طريقة السلف -رحمهم الله- وكان نفوره من الكلام كبيرا.

وكان لظهور الباقلاني (ت403) في المشرق كحامل للواء الأشعرية أثر كبير في نشر مذهب الأشعري في المغرب، والسبب في ذلك أنه كان إلى جانب أشعريته في الأصول مالكيا في الفروع، لذلك أقبل عليه طلبة العلم من المغرب يأخذون عنه المذهب المالكي والطريقة الأشعرية في آن واحد، ويظهر تأثر أهل

---

(1) انظر: معالم الإيمان: 112/3، ترتيب المدارك: 477/2.

(2) انظر: فهرست ابن خير: ص257-258.

(3) تبيين كذب المفتري: ص123، هو علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي نزيل مصر، كان من المعتزلة وانتسب إلى المذهب المالكي ليروج بدعته، وكتب إلى فقهاء القيروان يدعوهم فيها إلى مذهب الاعتزال والقول بالقدر وخلق القرآن لأن ذلك كله كان مذهب مالك ومذهب الأشعري أيضاء فأجابه ابن أبي زيد القيرواني بهذه الرسالة.

المغرب بالباقلاني وإعجابهم به أنهم كانوا يستشيرونه في المسائل والنوازل التي كانت تطرأ لهم.

وقد أخذ عن أبي بكر الباقلاني من أهل المغرب مجموعة من العلماء، نذكر منهم عبد الجليل بن أبي بكر الربعي المعروف بالديباجي وبابن الصابوني[1]، فقد صحب الباقلاني مدة ثم رجع إلى المغرب وألف رسالة في الاعتقادات[2].

وممن أخذ عن الباقلاني من مشاهير علماء المغرب والذين كان لهم دور فعال فيما بعد في نشر المذهب الأشعري في المغرب أبو عمران الفاسي (ت430)[3]، فقد رحل إلى بغداد سنة 399هـ وتلقى أصول المذهب عن القاضي الباقلاني الذي أعجب بذكائه وحفظه، ولما رجع إلى القيروان وجلس بها وظهر علمه قصده الناس من كل جهة[4].

ويقول الذهبي عنه: ((درس علم العقليات عن القاضي أبي بكر الباقلاني في سنة 399))، ويقول هو عن لقائه مع الباقلاني: ((رحلت إلى بغداد فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر الباقلاني ورأيت كلامه في الأصول والفقه والمؤالف والمخالف حقرت نفسي، وقلت: لا أعلم من العلم شيئا ورجعت عنده كالمبتدئ))[5].

هذا، وفضلا عن رحلة علماء المغرب للتلمذة على الباقلاني فقد أرسل هو بدوره اثنين من أبرز تلاميذه لنشر مذهب الأشعري بالمغرب وبثه فيه، هما:

---

[1] تكملة الصلة لابن الأبار ترجمة رقم: 1817، طبعة مدريد.

[2] نفس المصدر.

[3] هو الإمام أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج يحج البربري الفاسي الغفجومي الزناتي، رحل إلى الأندلس وحج غير مرة، وأخذ علم العقليات عن الباقلاني، وتوفي سنة 430.
مصادر ترجمته: الإكمال لابن ماكولا: 80/7، 81، 189. الصلة لابن بشكوال: 611/2 رقم 1337، الديباج المذهب: 337/2 رقم: 156، الشذرات: 247/2، جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس: 344/1-345 رقم: 364.

[4] انظر: ترتيب المدارك: 703/2، معالم الإيمان: 160/3.

[5] ترتيب المدارك: 587/2.

أبو طاهر البغدادي الناسك الواعظ[1]، وكان عالما متقنا لعلم الكلام حتى قال عنه أبو عمران الفاسي: ((لو كان الكلام طيلسانا ما تطيلس به إلا أبو طاهر البغدادي))[2].

وما من أحد من العلماء المذكورين في الأصول بالقيروان إلا وقد أخذ عنه.

وأخذ عنه أيضا من أهل الأندلس أمثال أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت392)[3] الذي كان ((عالما في الكلام والنظر واستقر بالأندلس يعلم الناس، إلا أننا لا نعرف شيئا عن آثاره فنتبين مدى أشعريته))[4].

وأما الرجل الثاني الذي بعثه الباقلاني إلى المغرب للغرض ذاته فهو: الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري الذي دخل القيروان واستوطنها، وكان السبب في وروده عليها كما يقول ابن عساكر أن ((الإمام الباقلاني أرسله إلى دمشق أولا تلبية لرغبة أهلها، فعقد مجلس تذكير في جامع دمشق في حلقة أبي الحسن بن داود[5] وذكر التوحيد ونزه المعبود ونفى عنه التشبيه والتحديد، فخرج أهل دمشق من مجلسه وهم يقولون: "أحد، أحد. فأقام مدة بدمشق ثم توجه إلى المغرب فنشر العلم بتلك الناحية واستوطن القيروان إلى أن مات))[6].

وكان رجلا ذا علم وأدب، يقول عنه القاضي عياض:

((فكان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب أبو عبد الله الأذري تلميذ

---

(1) لم أعثر له على ترجمة.

(2) تبيين كذب المفتري ص: 121.

(3) فقيه مالكي من قرطبة، تفقه بها على اللؤلؤي وابن مشاط، وأخذ عن وهب بن مسرة ثم ارتحل إلى المشرق وحج، أخذ عن الأبهري والدارقطني ، تولى قضاء سرقسطة، توفي سنة392.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس: 249/1 رقم: 760، ترتيب المدارك: 642/2-644، سير أعلام النبلاء: 560/16-561 رقم: 412، الديباج المذهب: 433/1-435 رقم: 13.

(4) ابن تومرت: ص437.

(5) هو أبو الحسن علي بن داود المقري الداراني الدمشقي، إمام مسجد دمشق، كان ثقة مأمونا يذهب إلى مذهب أبي الحسن الأشعري، كان أبوه نصرانيا فأسلم ولم يكن له جد في الإسلام، توفي سنة 401.
مصادر ترجمته: تبيين كذب المفتري: ص214-217.

(6) تبيين كذب المفتري: ص216-217.

القاضي الباقلاني))[1]، قد ألف مؤلفات كثيرة منها "كتاب في مناقب الباقلاني" ذكره أبو علي السكوني في عيون المناظرات ونقل منه، و"كتاب اللمع في أصول الفقه".

وقد أخذ عن هذا الرجل جمع كبير من أهل المغرب كان لهم الدور الأكبر بعد ذلك في نشر الطريقة الأشعرية في المغرب وتعريف الناس بها أمثال أبي عمران الفاسي -الذي سبق الحديث عنه-، وأبي بكر عبد الله بن محمد القرشي القيرواني[2]، وعبد الجليل الديباجي القيرواني[3]، وممن أخذ عنه أيضا: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عتيق بن أبي نصر هبة الله بن علي بن مالك التميمي المتكلم الأشعري المعروف بابن كدية القيرواني[4]، أخذ عن الأذري ثم رحل إلى بغداد.

كان متعصبا للمذهب الأشعري عالما به، قال عنه السِّلَفي[5]: ((كان مشارا إليه في الكلام، جرت بينه وبين الحنابلة فتن وأوذي غاية الإيذاء، سألته عن مسألة الاستواء فقال: أحد الوجهين للأشعري أنه يحمل على ما ورد ولا يفسر))[6].

---

[1] ترتيب المدارك: 2/586-589.

[2] لم أعثر له على ترجمة.

[3] الغنية للقاضي عياض: ص76.

[4] هو أبو عبد الله محمد بن عتيق بن محمد بن هبة الله بن مالك التميمي القيرواني المعروف بابن كدية، درس الكلام على الحسين بن حاتم الأذري ورحل إلى المشرق فسمع ببغداد من عبد الباقي بن محمد العطار، وحدث بصور فسمع منه نصر المقدسي، وروى عنه السلفي وغيره، ودرس بالنظامية ببغداد وأقام بالعراق إلى أن توفي سنة 512 في الثامن من ذي الحجة، ودفن مع أبي الحسن الأشعري بشرعة الروايا خارج الكرخ.
مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء: 19/417-418 رقم: 241، معرفة القراء الكبار: 1/379، النجوم الزاهرة: 5/217، معجم البلدان: 4/420-421، غاية النهاية لابن الجزري: 2/195-196.

[5] السلفي -بكسر السين وفتح اللام- هو أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني قال عنه الذهبي: ((كان متقنا مثبتا ثبتا خيرا حافظا ناقدا مجموع الفضائل، انتهى إليه علو الإسناد)) توفي سنة 576.
مصادر ترجمته: تذكرة الحفاظ: 1298-1304 رقم: 1082، البداية والنهاية: 12/309، وفيات الأعيان: 1/105-107 رقم: 44 وغيرها من المصادر.

[6] سير أعلام النبلاء: 19/418.

وممن تتلمذ عليه أيضا وتأثر بالكلام غاية التأثر: أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الله السيوري القيرواني (ت460)[1] الذي كان له شأن بديع في الحفظ والقيام بالمذهب المالكي، حافظا لدواوينه، قرأ عن الأذري الأصول والكلام وأكثر عنه الكلام.

إلى جانب تلاميذ الباقلاني الذين أرسلهم إلى المغرب لنشر الأشعرية أو الذين رحلوا إليه للأخذ عنه والرجوع إلى المغرب لنشر مذهبه، وهؤلاء جميعا كان لهم دور بارز في هذا المجال، إلى جانب هؤلاء التلاميذ دخلت كتبه ورسائله مثل "رسالة الحرة" وهي مطبوعة باسم الإنصاف[2]، والتي كانت متداولة في المغرب، وتذكر المصادر أن أحمد بن محمد التميمي المعروف بابن ورد[3] -من علماء المرية، والذي وصفه ابن الأبار بالحبر المجمع عليه- كان قد روى كتب الباقلاني من طريق كريمة المروزية (ت463)[4]، ومن كتبه التي

---

[1] هو شيخ المالكية أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث المغربي السيوري القيرواني، أحد من يضرب بحفظه المثل في الفقه، وكان زاهدا له تعليقة على المدونة وتخرج به أئمة، توفي سنة 460.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك: 770/2-771، الديباج المذهب: 22/2 رقم: 2، سير أعلام النبلاء: 213/18 رقم: 101، شجرة النور الزكية: 116/1، والسيوري بضم السين المهملة والياء وبعد الواو راء، هذه النسبة إلى عمل السيور، وهو أن يقطع الجلد سيورا دقاقا ويخرز بها السروج.

[2] طبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ محمد زاهد بن حسن الكوثري في مطبعة موسسة الخانجي، الطبعة الثانية (سنة 1382/1963).

[3] هو أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي المعروف بابن ورد، وهو خاله غلبت النسبة إليه، وكان أبوه من أهل القيروان، ورد المرية فاوطنها إلى أن مات وفيها نشأ أحمد بن محمد، فكان ابنها المنظور إليه وحبرها المجمع عليه، والمثير بدقة النظر ولطف الاستنباط، تتلمذ للقاضي أبي عبد الله بن المرابط وغيره، وكان يروي كتب الباقلاني عن طريق كريمة المروزية عنه، توفي في رمضان سنة 540، وكانت ولادته سنة 465.
مصادر ترجمته: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي لابن الأبار: ص23-24 رقم: 17، بغية الملتمس: ص362، تحفة القادم لابن الأبار تحقيق: إحسان عباس ص32-33 طبعة دار الغرب الإسلامي، سنة 1406.

[4] هي الشيخة العالمة الفاضلة المسندة كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية المجاورة بحرم الله، سمعت من أبي الهيثم الكشميهني صحيح البخاري، وسمعت من زاهر بن أحمد السرخسي وغيره، وحدث عنها الخطيب البغدادي وأبو المظفر السمعاني وغيرهما، كان لها فهم ومعرفة مع الخير والتعبد، ماتت بكرا ولم تتزوج، توفيت سنة 463.
مصادر ترجمتها: سير أعلام النبلاء: 233/18-235 رقم: 110، المنتظم لابن الجوزي: 270/8، شذرات الذهب: 314/3.

كانت تدرّس في المغرب-أيضا-"كتاب التمهيد" فقد كان يدرّسه الأثري.

وقد رأينا -كيف كان- إعجاب أهل المغرب بالباقلاني، حتى كانوا يرسلون إليه يستفتونه في الحوادث التي تحدث لهم.

وكان لكتب ابن فورك (ت406) رواج في المغرب، وبخاصة كتابه "تأويل مشكل الحديث"، وكان دخولها إليه عن طريق العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق، فكتاب "تأويل مشكل الحديث" رواه ابن خير الإشبيلي (ت575)[1] عن أبي جعفر النحوي(ت543) [2].

كما سمع عبد الله بن محمد النفزي المعروف بابن المرسي (ت538) [3] على محمد بن محمد بن المأموني الكتاب ذاته، ورواه كذلك عبد الرحمن بن أحمد القيسي المعروف بالحلياني (ت554) [4].

ومن كتب ابن فورك التي كانت متداولة بالمغرب -أيضا- "كتاب اعتقاد الموحدين"[5]، كما دخل إلى الأندلس من تلاميذ ابن فورك رجل يدعى عبد الرحيم بن غيّاث التميمي الحافظ(ت471)[6].

وكان لأبي ذر الهروي (ت434) [7] -هو الآخر- دور كبير في نشر

---

[1] هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة من مدينة إشبيلية، ولد سنة 502، أخذ عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح وغيره، وتجول في معظم مدن الأندلس تولى إمامة مسجد قرطبة آخر عمره إلى أن توفاه الله سنة 575.

مصادر ترجمته: بغية الملتمس: ص62 رقم الترجمة: 112، سير أعلام النبلاء: 21/80-86 رقم: 34، شذرات الذهب: 252/4، فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني 286/1.

[2] الفهرست: ص199.

[3] هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد النفزي الخطيب المعروف بابن المرسي، سمع من عدد كبير من الشيوخ وسمع منه عدد كبير أيضا، توفي سنة 538 وكانت ولادته سنة 453.

مصادر ترجمته: الغنية للقاضي عياض ص156-157 رقم: 59، الصلة: 296/1 رقم: 650، بغية الملتمس: ص325 رقم: 897، معجم أصحاب أبي علي الصدفي: ص214-217 رقم: 198.

[4] التكملة لكتاب الصلة: ص554.

[5] انظر: فهرست ابن خير: ص256.

[6] نفس المصدر (ترجمة رقم: 1671)

[7] هو أبو ذر عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي المالكي الحافظ الثقة، حدث ببغداد عن بشر بن محمد المزني وغيره، وخرج إلى مكة فسكنها مدة وتزوج في العرب، قيل: كان يحج كل عام ويقيم بمكة أيام الموسم ويحدث،

الأشعرية في المغرب، بل هو الذي علّم أهل المغرب هذا المذهب وبثّه فيهم؛ نقل الإمام ابن تيمية عن الحسين بن أبي أمامة المالكي[1] أنه قال: ((سمعت أبي يقول عن أبي ذر الهروي إنه أول من حمل الكلام إلى الحرم، وأول من بثه في المغاربة))[2].

وقد أقبل عليه طلبة العلم من المغرب لكونه كان يجمع بين الأشعرية في الأصول والمذهب المالكي في الفروع[3]، حيث يقول الإمام ابن تيمية: ((وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به (أي بأبي ذر الهروي) ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة (أي الأشعرية) ويدلهم على أصلها))[4].

وفي ترجمته لأبي ذر الهروي يقول الإمام الذهبي عنه: ((أخذ الكلام ورأي أبي الحسن عن القاضي أبي بكر بن الطيب وبث ذلك بمكة وحمله عنه المغاربة إلى المغرب والأندلس، وقبل ذلك كان علماء المغرب لا يدخلون في الكلام بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات))[5].

كما يؤكد الإمام ابن كثير صلة أبي ذر الهروي بالمغرب وأثره فيه، فيقول: ((والمغاربة إنما أخذوا الأشعرية عن أبي ذر الهروي))[6]، فممن أخذ عنه: الإمام أبو عمران الفاسي الذي سبق ذكره، فقد أخذ عنه خلال رحلته إلى

ثم يرجع إلى بلده، توفي سنة 434 وكانت ولادته سنة: 356.
مصادر ترجمته: تبيين كذب المفتري ص255-256، سير أعلام النبلاء: 544/17-563 رقم: 370، البداية والنهاية: 50/12-51، شذرات الذهب: 254/3.

(1) لم أعثر له على ترجمة في ما وقع تحت يدي من مصادر.

(2) درء تعارض العقل والنقل: 101/2.

(3) جاء في تبيين كذب المفتري (255-256) أن أبا ذر الهروي سئل فقيل له: أنت من هراة فمن أين تمذهبت لمالك والأشعري ؟ فقال: سبب ذلك أني قدمت بغداد لطلب الحديث فلزمت الدارقطني، فلما كان في بعض الأيام كنت معه فاجتاز به القاضي أبو بكر بن الطيب فأظهر الدارقطني من إكرامه ما تعجبت منه، فلما فارقته قلت له: أيها الشيخ الإمام من هذا الذي أظهرت من إكرامه ما رأيت؟ فقال: أو ما تعرفه؟! هذا سيف السنة أبو بكر الأشعري فلزمت القاضي منذ ذلك واقتديت به في مذهبيه جميعا)).

(4) درء تعارض العقل والنقل: 101/2-102.

(5) سير أعلام النبلاء: 557/17.

(6) البداية والنهاية: 50/12.

المشرق، وبعد رجوعه قام بنشر المذهب في المغرب وتم على يده ترويج كتبه ونشرها وتناسخها بين الناس[1]، وممن أخذ عن أبي عمران الفاسي من مشاهير علماء المغرب أبو محمد عبد الحميد بن محمد الصائغ (ت486)[2]، فقد كان فقيها فاضلا أصوليا[3]، وخرج بهذا العلم من القيروان إلى المهدية حيث يتاح لأحد تلاميذه النابهين أن يأخذ علمه ليصبح واحدا من أبرز علماء المالكية والأشعرية بالمغرب ألا وهو الإمام المازري[4].

وممن أخذ عن أبي ذر الهروي من المغاربة محمد بن سعدوي (ت486)[5]، والإمام أبو الوليد الباجي الذي لزمه ثلاث سنوات كاملة يدرس عليه الكلام[6].

وكان للإمام أبي الحسن القابسي علاقات علمية مع تلاميذ الباقلاني وبخاصة الإمام أبي ذر الهروي، وكان كثير الثناء على أبي الحسن الأشعري، حيث ألف في فضله وإمامته رسالة جاء فيها: ((واعلموا أن أبا الحسن الأشعري لم يأت من هذا الأمر -يعني الكلام- إلا ما أراد به إيضاح السنن والتثبيت عليها ودفع الشبه عنها، فهمه من فهمه بفضل الله عليه، وخفي عمن خفي بقسم الله، وما أبو الحسن إلا واحد من جملة القائمين بنصر الحق، ما سمعنا من أهل الإنصاف من

---

(1) معالم الإيمان: 152/3.

(2) فقيه مالكي من أهل القيروان، سكن بسوسة وتفقه على السيوري وأبي عمران الفاسي، وبه تفقه الإمام المازري، تولى الإفتاء والتدريس بالمهدية، توفي سنة 486.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان: 200/3.

(3) انظر المعالم: 202/3.

(4) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر المازري ، إمام أهل إفريقية، بلغ درجة الاجتهاد. أخذ عنه اللخمي وابن الصائغ وكان إلى جانب تضلعه بالفقه والأصول والحديث عالما بالطب، من كتبه: شرح صحيح مسلم المسمى: "المعلم بفوائد مسلم"، و"شرح البرهان للجويني" ، توفي سنة 536.
مصادر ترجمته: الديباج لابن فرحون: 250/2-252 رقم: 73، وفيات الأعيان: 285/4 رقم: 617، سير أعلام النبلاء: 104/20-107 رقم: 63، أزهار الرياض: 165/3.

(5) هو أبو عبد الله محمد بن سعدوي بن علي بن بلال القروي، تفقه بالقيروان على جماعة، وحج فسمع بمكة من أبي ذر الهروي وغيره، وسمع بمصر، وكان فقيها حافظا للمسائل، وكان تاجرا، توفي سنة: 486.
مصادر ترجمته: ترتيب المدارك للقاضي عياض: 799/2-800، معالم الإيمان: 198/3 رقم: 315.

(6) سير أعلام النبلاء: 537/18، نفح الطيب: 69/2.

يؤخره عن رتبته تلك، ولا من يؤثر عليه في عصره غيره، ومن بعده من أهل الحق سلكوا سبيله في القيام بأمر الله عز وجل والذب عن دينه حسب اجتهادهم))، ثم يرد على من يتهم الأشعري ويرميه مما هو برئ منه فيقول: ((وأما قولكم: وإن كان التوحيد لا يتم بمقالة الأشعري فهذا يدل على أنكم فهمتم أن الأشعري قال في التوحيد قولا خرج به عن أهل الحق، فإن من نسب هذا المعنى عندكم إلى الأشعري فقد أبطل قول من قال عنه: لقد مات الأشعري يوم مات وأهل السنة باكون عليه وأهل البدع مستريحون منه، فما عرفه من وصفه بغير هذا))[1].

ومما يدل على أنه كان متأثرا بالأشعرية قوله في الإيمان: ((إنه التصديق بالقلب دون يكون عمل الجوارح عنصرا منه))[2].

وكان للإمام أبي المعالي الجويني (ت478) هو الآخر تأثيره ودوره الكبير في نشر الفكر الأشعري بالمغرب وكان لكتبه رواج كبير به، حيث اعتنى بها علماء المغرب شرحا وتدريسا، وبخاصة كتاب الإرشاد[3] وكتاب البرهان[4]، وافتتن به المغاربة أيما افتتان حتى قال قائلهم يمدحه ويثني عليه -وهو محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي الألبيري (ت537)[5]-:

---

[1] انظر تبيين كذب المفتري ص122-123.

[2] ابن تومرت للنجار: ص435.

[3] هو كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، طبع في مكتبة الخانجي (سنة 1369هـ/1950م) بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد.

[4] هو كتاب البرهان في أصول الفقه، طبع في مجلدين بتحقيق الدكتور عبد العظيم الديب، طبعة وزارة الأوقاف بقطر، الطبعة الأولى (سنة 1399).

[5] هو أبو عبد الله محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي، ألبيري الأصل، اخذ علم الكلام عن ابي بكر بن الحسن المرادي وغيره، وروى عنه جمع من أهل الأندلس، كان متكلما مشاركا في الأدب مقدما في الطب، من كتبه: "النكت والأمالي في الرد على الغزالي"، و"شرح على صحيح البخاري"، توفي سنة 537 وكانت ولادته سنة 457.
مصادر ترجمته: الذيل والتكملة: 6/193-195 رقم: 56 تحقيق إحسان عباس، طبعة دار الثقافة بيروت (الطبعة الأولى سنة 1973).

حـب حـبر يدعـى أبـا للـمعالي هـو دينـي ففـيه لا تـعذلـوني
أنـا -والله- مغـرم بـهـواه عللـونـي بذكـره عللونـي

وكان هذا الرجل متكلما واقفا على مذاهب المتكلمين متحققا برأي أبي الحسن الأشعري ذاكرا لكتب الأصول والاعتقادات، وله كتب في العقائد منها: "كتاب البيان في الكلام على القرآن"، و"كتاب الأصول إلى معرفة الله ونبوة الرسول ﷺ"، و"رسالة في البيان عن حقيقة الإيمان"[1].

وأقبل الناس على شرح كتب الجويني كما فعل أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري الغرناطي (ت522)[2] الذي شرح كتاب الإرشاد وسماه: "منهج السداد في شرح الإرشاد"، كما شرحه أبو عبد الله محمد بن مسلم بن محمد بن أبي بكر القرشي المخزومي ساكن الإسكندرية وسماه "المهاد في شرح الإرشاد"، وكان هذا الرجل من المتكلمين الذين تأثروا بمذهب الجويني واهتموا بكتبه، وكان قد أخذها عن أبي علي بن محمد بن الحضرمي، وقد درس الكلام والأصول عن أبي محمد الحنفي وأبي بكر الطرطوشي وغيرهما[3].

---

(1) الذيل والتكملة: 194/6.

(2) هو أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن الضحاك الفزاري ، ابن البقري ، كان محدثا نبيلا حافظا لتواريخ وطبقات الرواة وتعديلهم وتجريحهم، مميزا لصحيح الحديث عن سقيمه، وكان ماهرا في علمي الكلام وأصول الفقه، توفي سنة 552 وكان مولده سنة 509.

مصادر ترجمته: الذيل والتكملة: 5/1/282-285 رقم: 566، الديباج المذهب: 2/115-116 رقم: 24.

(3) الغنية للقاضي عياض (ص88)، وممن شرح الإرشاد -أيضا- ولكن في مرحلة متأخرة عن المرحلة التي نحن بصدد دراستها: إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهان الأوسي أبو إسحاق ويعرف بابن المرأة (ت611)، كان متقدما في علم الكلام حافظا ذاكرا للحديث والتفسير والفقه والتاريخ وغير ذلك، وكان الكلام غالبا عليه، انظر عنه: الإحاطة في أخبار غرناطة: 1/325-326.

كما شرحه أيضا: محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري الإشبيلي وسماه: "اقتطاف الأزهار واستخراج نتائج الأفكار لتحصيل البغية والمراد من شرح الإرشاد"، انظر: الذيل والتكملة 651/2/5.

كما انتشر هذا الكتاب فيما بعد وأصبح يدرس لطلبة العلم، وممن كان يقوم بتدريسه: محمد بن أبي بكر الأزدي الإشبيلي أبو عبد الله بن الفخار (ت640)، انظر ترجمته في: الذيل والتكملة: 109/6.

وأما كتابه "البرهان في أصول الفقه" فقد شرحه من المغاربة الإمام المازري (ت536)، وانتقد عليه بعض المسائل التي خالف فيها أهل السنة، مثل قوله: ((تردد المتكلمون في انحصار الأجناس كالألوان، فقطع قاطعون بأنها غير متناهية في الإمكان كآحاد كل جنس، وقال المقتصدون: لا ندري أمنحصرة أم لا؟ ولم يثبتوا مذهبهم على بصيرة وتحقيق، والذي أراه قطعا أنها منحصرة لتعلق علم الله منها بأجناس لا تتناهى على التفصيل، وذلك مستحيل.

فإن استنكر الجهلة ذلك وشمخوا بآنافهم وقالوا: "الباري سبحانه عالم بما لا يتناهى على التفصيل" سفهنا عقولهم وأحلنا تقرير هذا الفن على أحكام الصفات، وبالجملة علم الباري سبحانه وتعالى إذا تعلق بجواهر لا تتناهى فإن ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود ويحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم والأجناس المختلفة التي فيها الكلام يستحيل العلم بها فإنها متباينة بالخواص وتعلق العلم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال، وإذا لاحت الحقائق فليقل الآخر ما شاء))[1].

وهو واضح في إنكار علم الله بالجزئيات غير المتناهية، وهو قول مخالف للنصوص القرآنية والحديثية ومخالف لما عليه أهل السنة والجماعة بأن علم الله محيط بكل ما جل ودق، ولذلك يقول المازري في تفنيد مقالته تلك: ((وددت لو محوتها بدمي))، وليس المازري وحده الذي انتقد ذلك عليه، بل غيره أيضا كما ذكر الإمام الذهبي: ((أن الناس هجروه ونفوه من أجلها، وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه))[2]، كما انتقده الإمام الذهبي نفسه وقال: ((هذه هفوة اعتزال))[3].

---

[1] البرهان: 145/21-146، وفي طبقات السبكي (بماء عيني بدل: دمي): 193/5.
[2] سير أعلام النبلاء: 473/18.
[3] سير أعلام النبلاء: 473/18.

وممن انتقده انتقادا لاذعا عليها من علماء المغرب الإمام ابن العربي (ت543) حيث قال: ((وإنما العجب كل العجب عن كلمات صدرت عن أبي المعالي فادحة تحوم أو تشف على أن علم الباري لا يتعلق بالمعلومات على التفصيل))[1].

ثم شرع بعد إيراد كلام الجويني -الذي سبق ذكره- في نقضه فقرةً فقرةً، ولطوله تركت نقله لأنه لا يعنينا في بحثنا، وإنما المقصود الإشارة إلى من انتقد الجويني على كلامه ذلك.

إلا أن الإمام السبكي - بتعصبه للجويني- لم يعجبه انتقاد المازري فقال: ((وقد فهم عنه المازري إنكار العلم بالجزئيات، وأنكر وأفرط في التغليظ عليه وأشبع القول في إحاطة العلم القديم بالجزئيات، ولا حاجة به إليه، فإن أحدا لم ينازعه وإنما هو تصور أن الإمام (أي الجويني) ينازعه فيه))[2].

وتحامل على المازري بعض الشيء دون مبرر لأن كلام الإمام الجويني واضح فيما أنكر عليه، ولا يحتاج إلى تأويل.

وإلى جانب كتبه ومؤلفاته التي دخلت المغرب واهتم الناس بها اهتماما بالغا إلى جانب ذلك، فإن كثيرا من علماء المغرب تتلمذ عليه وأخذ عنه، كما أن هناك عددا من تلاميذه من أهل المشرق وفدوا على المغرب في مرحلة من المراحل.

فممن تتلمذ له من أهل المغرب نذكر: عبد الملك بن موسى بن أبي حجرة الأندلسي(ت485)[3]، فقد كانت له رواية عن الجويني ، وكذلك محمد بن سعيد

---

(1) العواصم من القواصم: 2/133-134، وممن انتقد الجويني في كتابه البرهان والإرشاد ولكن في مرحلة متأخرة عن مرحلتنا: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خروف الحضرمي الإشبيلي (ت609)، وهو صرورة لم يتزوج، وكان يقول: ((والله ما حللت مئزري على حلال ولا على حرام قط)) انظر ترجمته في الذيل والتكملة: 5/1/1319.

(2) طبقات السبكي: 5/193.

(3) لم أعثر له على ترجمة.

الميورقي[1] الذي رحل إلى مكة ولقي بها الإمام الجويني ، وأخذ عنه مصنفاته ولزمه، ورجع إلى ميورقة وتصدر لتدريس الفقه وأصوله وعلم الكلام، وله مناظرات مع ابن حزم شاركه فيها أبو الوليد الباجي حيث تظافرا عليه حتى أفحماه وأزعجاه، وكان ذلك سبب القطيعة بين الباجي وابن حزم[2].

ومن تلاميذه أيضا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المعافري (ت502)[3] سمع بالأندلس من الباجي، وكانت له رحلة إلى المشرق سمع فيها من الإمام الجويني ودرس الأصول والكلام، وعند عودته كان يدرس الكلام من كتاب "المناهج في الجدل والمناظرة" للإمام الباجي[4]، و"رسالة الحرة" للباقلاني.

إلى جانب تلاميذه من أهل المغرب ممن أخذ عنه وتتلمذ على يديه إلى جانب هؤلاء وفد جماعة من تلاميذه من المشارقة على المغرب أيضا أمثال: أبي نصر سهل بن علي بن عثمان النيسابوري (ت531)[5]، فقد تتلمذ على للجويني وقدم إلى المغرب وأقام بسبتة[6] مدة طويلة.

ولكن الرجل الذي كان له الدور الأكبر في نشر طريقة الجويني بالمغرب هو أبو بكر بن العربي، الذي رحل إلى المشرق ولقي أعظم تلاميذ الجويني: أبا حامد الغزالي (ت505) حيث أخذ عنه طريقة أبي المعالي الجويني في

---

(1) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الميورقي حج سنة 402 ورافق في رحلته أبا محمد عبد الحق بن هارون الصقلي الفقيه، ولقي الإمام الجويني بمكة فأخذ عنه ولزمه، ثم رجع إلى ميورقة وأخذ في تدريس العلوم.
مصادر ترجمته: الذيل والتكملة: 216/6 رقم: 625.

(2) الذيل والتكملة: 216/6.

(3) انظر عنه الغنية: 165-166.

(4) طبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور عبد المجيد التركي، الطبعة الثانية (دار الغرب) 1987.

(5) أبو نصر سهيل بن علي بن عثمان النيسابوري الشيخ التاجر، أقام بسبتة مدة، وكان قد أدرك أبا المعالي الجويني بنيسابور وحضر مجلسه ودرسه وكان شافعي المذهب، توفي غريقا سنة 531.
مصادر ترجمته: الغنية: فهرست شيوخ القاضي عياض ص209-210. تحقيق ماهر زهير جرار.

(6) سبتة: بلدة مشهورة من مدن المغرب الأقصى ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي اليوم داخلة تحت الحكم الإسباني الصليبي، انظر عنها: معجم البلدان: 182/3-183.

الإرشاد[1]، كما أن أبا الوليد الباجي جلب - بدوره- إلى المغرب طريقة أبي جعفر السمناني (ت444) [2].

يقول القاضي عياض في ترجمته للباجي: ((ودخل الموصل فأقام بها عاما يدرس على السمناني تلميذ الباقلاني الأصول))[3]، وممن أخذ عن ابن السمناني من علماء المغرب-أيضا- أبو عمرو عثمان ابن أبي بكر ابن حمّود السفاقسي- نسبة إلى سفاقس بتونس-.

ومن علماء المشرق الذين وفدوا على المغرب وساهموا في نشر علم الكلام على الطريقة الأشعرية أبو الحسن نافع بن عباس الجوهري[4]، الذي قدم الأندلس وكان عالما بالاعتقادات متكلما عليها ووضع عليها كتابا في خمسة أجزاء سماه "الاستبصار".

بعد ذلك نشطت حركة التأليف في علم الكلام من قبل المغاربة أنفسهم، وبرز فيهم من العلماء في هذا الجانب عدد كبير كانوا في مستوى أولئك المشارقة أمثال: يحيى بن عبد الله كيس(ت436)[5] الذي كان متكلما حاذقا مستبحرا في ذلك، حتى قال عنه ابن حيَّان: ((ما نعلم بالأندلس في وقته أبصر منه بالكلام

---

(1) درء تعارض العقل والنقل: 2/101-102.

(2) هو أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني، سكن بغداد فترة من الزمن وحدث عن أبي عمر السكري وابي الحسن الدارقطني ثم استقر بالموصل، وكان عالما فاضلا سخيا، توفي سنة 444 وكانت ولادته سنة361.
مصادر ترجمته: السير: 17/651-652 رقم: 441، المنتظم: 8/156، وانظر: الدرء: 1/101-102، تبيين كذب المفتري ص259، والسمناني -بكسر السين وسكون الميم- نسبة إلى سمنان قرية من قرى نسا في العراق، اللباب: 2/141.

(3) ترتيب المدارك: 2/803-804.

(4) هو أبو الحسن نافع بن العباس بن جبير الجوهري التنيسي الحافظ، قدم الأندلس تاجرا سنة 419، وكان له رواية عالية عن شيوخ مصر وغيرهم من أهل العراق، لم تذكر المصادر سنة وفاته.
مصادر ترجمته: الصلة: 2/640 رقم الترجمة: 1406.

(5) هو أبو بكر يحيى بن عبد الله كيس من أهل قرطبة، سمع الحديث من عدة لحقهم، وتوفي في آخر ربيع الأول وهو ابن سبع وأربعين سنة من سكتة أصابته قبل موته -رحمه الله-.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال: 2/667 رقم: 1467.

والجدل ونحو ذلك))[1].

والعلامة أحمد بن محمد الجذامي المرسي[2] من أعلام مملكة بني عباد ((كان كثير التجوال والترحال في طلب العلم ونشره، وكان شيخ المتكلمين على مذهب أهل الحق في وقته))[3]، وله رسائل في علم الكلام وأملى رسالته في مسألة: "التكليف بما لا يطاق"، كما أن له أشعارا تدور حول معارفه بعلم الكلام، وكان موصوفا بالعلم والفضل.

ومنهم أحمد بن يحيى بن عيسى الألبيري (ت429)[4] الذي كان متكلما دقيق النظر، عارفا بالاعتقادات على الطريقة الأشعرية[5].

ويعتبر أبو بكر المرادي (ت489)[6] أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب الأقصى، وكانت له تواليف حسان في أصول الدين، واستمر يدرّسها إلى أن توفي.

ومن أعلامهم -أيضا- محمد بن سليمان الباجي (ت493)[7] الذي كان من أهل الكلام مائلا إليه، ومنهم أحمد بن سابق الصقلي (ت493)[8] الذي برع في

---

(1) الصلة: 668/2.

(2) هو أبو العباس أحمد بن محمد الجذامي المتكلم المعروف بالزنقي، أصله من مرسية سمع من غير واحد وأخذ عنه غير واحد ولم تذكر المصادر سنة وفاته.
انظر: المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي: ص12-13، تكملة الصلة: 38/1-39.

(3) انظر مصادر ترجمته.

(4) هو أبو عمر أحمد بن يحيى بن عيسى الألبيري، الأصولي، سكن غرناطة وكان أديبا شاعرا عالما بالكلام، توفي سنة 429.
مصادر ترجمته: الصلة: 44/1 رقم: 91.

(5) الصلة: 44/1.

(6) انظر عنه الغنية: ص226 رقم: 97 تحقيق ماهر زهير طبعة دار الغرب الإسلامي (الأولى 1402-1982).

(7) هو أبو بكر محمد بن سابق الصقلي، روى بمكة عن كريمة بنت أحمد المروزية، وقدم الأندلس وأخذ عنه أهل غرناطة، توفي سنة 493.
مصادر ترجمته: الصلة: 604/2 رقم: 1325.

(8) هو أبو القاسم أحمد بن سليمان بن خلف الباجي سكن سرقسطة وروى عن أبيه كثيرا وخلفه في حلقته، وحدّث عن حاتم بن محمد وابن حيان وغيرهما، توفي سنة 493 بجدة بعد منصرفه من الحج.
مصادر ترجمته: الصلة: 71/1 رقم الترجمة: 153، بغية الملتمس: ص169، رقم: 408، الديباج المذهب: 183/1 رقم: 60.

الكلام، وله تصانيف تدل على حذقه له وذكائه، وصنف في الجانب العقدي عقيدته المسماة: "العقيدة في المذاهب السديدة"، وكتاب "البرهان على أن أول الواجبات الإيمان"، وكتاب "معيار النظر"[1].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عمر بن قطر الزبيدي (ت501)[2] الذي قال عنه القاضي عياض: ((وكان له حظ من العلم بالأصول والاعتقاد)).

ومنهم أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي (ت505)[3] قال عنه القاضي عياض: ((وكان محققا فهما أصوليا متكلما)).

وأبو محمد عبد الغالب بن يوسف السالمي (ت516)[4] الذي وصفه القاضي عياض بالمتكلم على مذاهب أهل السنة من الأشعرية.

ومن المبرزين في علم الكلام على الطريقة الأشعرية -أيضا- أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي[5] (ت520) قال عنه القاضي عياض: ((كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظار السنة وله في ذلك تصانيف مشهورة، وألف أرجوزة في علم الكلام قاربت الألفين من الأبيات كان يقرؤها على تلاميذه في المسجد فيحفظونها ويرددونها))[6].

---

(1) انظر مصادر ترجمته.

(2) أصله من إشبيلية، رحل إلى المشرق ودخل الحجاز والعراق والشام، من شيوخه: محمد بن حجاج السبتي، كان مجاورا بمكة، وأبو عمران الصقلي والخطيب البغدادي وأبو الوليد الباجي توفي سنة 501.
مصادر ترجمته: الغنية للقاضي عياض: ص76-79 رقم: 14، الصلة: 567/2.

(3) هو أبو علي الحسن بن عبد الأعلى الكلاعي، الفقيه من أهل سفاقس، وسكن المغرب الأقصى والأندلس، كان منقبضا فاضلا، وكان محققا فهما فقيها أصوليا عارفا بعلم الهندسة والحساب، توفي سنة 505.
مصادر ترجمته: الغنية للقاضي عياض: ص140-141 رقم: 49.

(4) هو أبو أحمد عبد الغالب بن يوسف السالمي المتكلم، أخذ عن ابن شبر بن القاضي وغيره، وأخذ عنه الناس كثيرا، وكان خيّرا فاضلا وله تصانيف كثيرة، توفي بمراكش سنة 516.
مصادر ترجمته: الغنية: ص169-170 رقم: 72، الصلة: 388/2 رقم: 835.

(5) هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الكلبي الضرير من أهل سرقسطة، كان من أهل النحو والتقدم في علم التوحيد والاعتقادات توفي سنة سنة 520.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال: 682/2 رقم: 1509، الغنية ص226-227 رقم: 97.

(6) هذه الأرجوزة توجد ضمن شرح لها بخزائن القرويين بفاس تحت عنوان: "في العقائد"، انظر: "الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين": ص401، ط. دار الغرب الإسلامي (ط1، 1408/1988)، وكتاب

ومن علماء الكلام الجزائريين في تلك المرحلة أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة أبو ذؤيب الهذلي بن خويلد البكري، رحل إلى بلاد الشرق وسمع من أبي نعيم الأصبهاني وجماعة من الخراسانيين، وكان عالما بالكلام والنحو.

ويذكر ابن حزم أنه وجدت للأشعرية مراكز في المغرب، وذلك في القيروان والأندلس ويذكر من رجالهم الكبار المشاهير بالقيروان عطاف بن دوناس الذي ألف كتابا في نصرة مقالة الأشعرية[1].

ولكن أبرز رجال الأشعرية في هذه المرحلة والذين عملوا على ترسيخ المذهب الأشعري بالمغرب وبسط سلطانه به هم: الإمام أبو الوليد الباجي والإمام ابن العربي وبدرجة أقل الإمام المازري.

فالإمام أبو الوليد رحل إلى المشرق ولقي كبار رجال الأشعرية -كما تقدم-، وعاد إلى المغرب يجادل عن الأشعرية ويصنف على مذهبهم، وكانت مصنفاته متداولة بكثرة وبخاصة كتاب "التسديد" -كما يذكر ذلك القاضي عياض- في ترجمة أبي الأصبغ عيسى بن محمد بن عبد الله بن أبي البحر الزهري (ت530)[2] حيث يقول: ((لقيته بسبتة مرات ناولني من كتب أبي الوليد الباجي كتاب التسديد وغيره وحدثني بجميعها عنه))[3].

واشتهر أكثر ما اشتهر بمناظرته للإمام ابن حزم التي قيل عنها أن الباجي أفحم فيها ابن حزم، حيث يقول القاضي عياض -وهو من أنصار الباجي-:

أضواء جديدة على المرابطين كلاهما للدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش: ص16، ط دار الغرب الإسلامي (ط1-1991).

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل: 207/4.

(2) هو أبو الأصبغ عيسى بن محمد بين عبد الله بن عيسى بن مؤمل بن أبي البحر الزهري، أصله من شنترين وسكن مدينة سلا، رحل إلى المشرق وسمع من كريمة المروزية وغيرها، وسمع من أبي الوليد الباجي وغيره من أهل المغرب، وسمع منه قوم بالأندلس، توفي سنة 530.

مصادر ترجمته: الغنية في شيوخ القاضي عياض: ص183-186 رقم: 83، الصلة لابن بشكوال: 440/2 رقم 947.

(3) الغنية: ص185.

((ووجد الباجي عند وروده الأندلس لابن حزم صيتا عاليا وظاهريات منكرة، وكان لكلامه طلاوة، وقد أخذت قلوب الناس وله تصرف في فنون تقصر عنها ألسنة فقهاء الأندلس في ذلك الوقت لقلة استعمالهم النظر وعدم تحققهم به، فلم يكن يقوم أحد بمناظرته فعَلاَ بذلك شأنه وسلموا الكلام له، فلما ورد أبو الوليد الأندلس وعنده من الإتقان والتحقيق والمعرفة بطرق الجدل والمناظرة ما حصله في رحلته أمله الناس لذلك فجرت له معه مجالس كانت سبب فضيحة ابن حزم وخروجه من ميورقة وكان رأس أهلها فلم يزل أمره في سفال فيما بعد))[1].

ولكن بعض العلماء المعاصرين كأبي زهرة رحمه الله يرى أن هزيمة ابن حزم لم تكن بالحجة والبرهان بل كانت بقوة السلطان ((فما أفلح عليه بحجة ولكن ذهب المناصر فتظاهر الفقهاء عليه وألبوا عليه السلطان، وخرج من ميورقة لا مغلوبا في حجاج ولكن قد فقد النصير المؤيد ولم يعد الانتصار للحجة بل صار الانتصار لمن هو أكثر عددا وأعز نفرا))[2].

المهم أن هذا الرجل (أي الباجي) كان له دور بارز في نشر المذهب الأشعري بالمغرب، وكيف لا يكون ذلك وقد تلقاه عن أعمدة هذا المذهب بالمشرق خلال رحلته كما تقدم، وأما ابن العربي فإنّ اتجاهه الأشعري لا يخفى على أحد وكتبه تدل عليه.

وأما المازري فقد ظهر منهجه الأشعري واضحا من خلال كتابه "المعلم بفوائد مسلم" عند شرحه للأحاديث المتعلقة بالعقيدة مثل الكلام في الصفات وفي التأويل وغير ذلك، وقد انتصر في كتابه هذا لرأي الأشعري ودافع عنه، مثل قوله في شرح حديث وفد عبد القيس «آمركم بأربع»، وفي بعض طرقه:

---

(1) ترتيب المدارك: 805/2.

(2) ابو زهرة: كتاب ابن حزم، ص .

«أتدرون ما الإيمان؟ شهادة أن لا إله إلا الله»[1]، وذكر بعد ذلك الصلاة والزكاة، وفي بعض طرقه: «آمركم بأربع: الإيمان بالله، ثم فسرها لهم فقال شهادة أن لا إله إلا الله» وقال بعد ذلك: «وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة».

قال الشيخ المازري: ((ظن بعض الفقهاء أن في هذا دلالة على أن الصلاة والزكاة من الإيمان خلافا للمتكلمين من الأشعرية القائلين بأن ذلك ليس من الإيمان، وهذا الذي ظنه غير صحيح لاحتمال أن يكون الضمير في قوله: «ثم فسرها لهم» عائدا إلى الأربع لا إلى الإيمان كما ظن هذا الظان))[2].

ويظهر نزوعه للتأويل واضحا في قوله بالمجاز عند شرحه لأحاديث الصفات كما في حديث: «يأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقولون: نعوذ بالله منك فيأتيهم في صورته التي يعرفونها»[3] يقول المازري: ((الإتيان هاهنا عبارة عن رؤيتهم الله تعالى، وقد جرت العادة في المحدثين أن من كان غائبا عن غيره فلا يمكن التوصل إلى رؤيته إلا بإتيان أو مجيء، فعبر بالإتيان هاهنا والمجيء عن الرؤية على سبيل المجاز))[4].

ويقول في الضحك والتجلي في شرحه لحديث: «فلا يزال يدعو الله حتى

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ) رقم الحديث: 17، 18، صحيح مسلم: 1/46-49 من حديث ابن عباس أنه قال: »قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا هذا الحي من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلا نخلص إليك إلا في الشهر الحرام فمرنا بأمر نعمل له وندعو إليه من وراءنا، قال: آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال): شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمقير«، وأخرجه النسائي ي كتاب الإيمان وشرائعه (باب أداء الخمس) انظر السنن: 8/105.

(2) المعلم: 1/285-286.

(3) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد (باب قوله تعالى {وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة} من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث 7437، 7439، انظر: فتح الباري: 13/419-422.

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان (باب معرفة طريق الرؤية) رقم الحديث: 182-183، انظر صحيح مسلم: 1/163-171.

(4) المعلم: 1/337.

يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه أدخله الجنة»[1]، يقول الإمام المازري: ((الضحك من الله محمول على إظهار الرضى والقبول، إذ الضحك في البشر علامة على ذلك، ويقال: ضحكت الأرض إذا ظهر نباتها، وفي بعض الحديث: «فيبعث الله سحابا فيضحك أحسن الضحك»، فجعل انجلاءه عن البرق ضحكا على الاستعارة، كأنه تعالى لما أظهر له رحمته استعير له اسم الضحك مجازا))[2].

ويظهر نزوعه للتأويل -أيضا- من شرحه لحديث: «ينزل ربنا كل ليلة»[3] عندما يقول: ((قيل: معناه ينزل ملك ربنا على تقدير المضاف، يقال: فعل السلطان كذا وإن كان الفعل من أتباعه، ويضاف له الفعل لما كان من أمره، ويحتمل أن يكون عبّر بالنزول عن تقريب الباري للداعين حينئذ واستجابته لهم، وخاطبهم ﷺ بما جرت عادتهم ليفهموا عنه))[4].

---

(1) هو نفس الحديث السابق.

(2) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التهجد، فتح الباري: 29/3، ومسلم في كتاب صلاة المسافر: 521/1-522.

(3) المعلم: 454/1.

2-الحديث أخرجه البخاري في كتاب التهجد، انظر: فتح الباري 29/3، ومسلم في كتاب المسافرين 521/1.

3- قال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون 396/2-397: ((الحشوية -بسكون الشين وفتحها- وهم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره، وهم من الفرق الضالة، قال السبكي في "شرح أصول ابن الحاجب": ((الحشوية طائفة ضلوا عن سواء السبيل، يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد، سموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاما، فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة، فنسبوا إلى الحشاء -فهم حشوية -بفتح الشين-، وقيل سموا بذلك لأن منهم المجسمة أو هم هم والجسم حشو، فعلى هذا القياس فيه الحشوية -بسكون الشين- نسبة إلى الحشو.

وقيل المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها، بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد، ويفوضون التأويل إلى الله، وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف)).

ثم ما لبث أن انتقل هذا المصطلح ليطلقه المتكلمون على أهل السنة المثبتة لصفات الله، وكتب مستجي زاده على هامش إحدى النسخ من "منهاج السنة" والتي رمز إليها الدكتور رشاد سالم محقق الكتاب بالنسخة (ع) ما يلي: ((أقول: وفي غير موضع من تفسير الكشاف أنه يستعمل لفظ (الحشوية) في أهل السنة، وكذا في تفسير البيضاوي يذكر الحشوية في مواضع، وفهمت أنا من كلمات هؤلاء أعني الشيعة والزمخشري والبيضاوي أن كل من يقول بمقالات السلف في الاعتقادات ويحملون النصوص على ظواهرها ولا يصرفونها عن ظواهرها بآرائهم مثل الجهمية ومن اتبعوهم من المعتزلة والروافض ومتأخري الحنفية والشافعية فهم عندهم حشوية، فالحنابلة كلهم عندهم حشوية، وكذا أهل الحديث مثل البخاري ومسلم وإسحاق بن راهويه وسفيان الثوري وابن

ولا غرابة في أن ينشأ في هذه المرحلة اتجاه يتهم كل من يقف عند ظواهر النصوص بالحشوية[1] والمشبهة كما كان يصف أهل الأندلس المالكية، حيث يقول ابن حوقل: ((والمالكية من فظاظ الحشوية))[2]، وألف المازري كتاب "النكت القطعية في الرد على الحشوية الذين يقولون بقدم الأصوات والحروف".

وقد بالغ بعضهم حتى ذهب إلى القول بظهور تيار تشبيهي تجسيمي عمّ بالمغرب في عهد المرابطين على الأخص، ولا شك أن منشأ هذه المبالغة التأثر بدعاية الموحدين ضد المرابطين وإطلاقهم اسم المجسمة عليهم إمعانا في تهجينهم وتأليب الرأي العام عليهم كما قال محمد بن خلف بن موسى الأنصاري الأوسي الألبيري (ت537)[3] الذي ألف كتابا في الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء الواقعة له في الجزء الأول من مقدماته ((والتي سلك مسلك السلف في إثبات صفات الله كما وردت))[4].

وأما ابن العربي فقد كان عنيفا في نقده لأهل الإثبات، يظهر ذلك من مناقشته لهم في كتابه "العواصم من القواصم" حيث طعن عليهم وحمل عليهم حملة شعواء، وصمهم فيها بالمشبهة تارة وبالجهل تارة أخرى، إلا أنه في حملته تلك

عيينة وحماد بن زيد ومن يحذو حذوهم من أئمة الحديث، فهؤلاء كلهم حشوية عندهم)).
وانظر مادة (الحشوية) بدائرة المعارف الإسلامية وما ذكره الشهرستاني عن "مشبهة الحشوية" في الملل والنحل: 96/1-99، وانظر أيضا: منهاج السنة: 520/2.

(1) صورة الأرض: ص9.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) انظر: المقدمات الممهدات: 20/1، فهو يقول فيها: ((وأما ما وصف به نفسه تعالى في كتابه من أن له وجها ويدين وعينين فلا مجال للعقل في ذلك، وإنما يفهم ذلك من جهة السمع فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به من غير تكييف ولا تحديد)).

(4) العواصم من القواصم: 304/2-305، وهو كلام منقول عن أبي يعلى الحنبلي، ولكن الإمام ابن تيمية يرى انه ((من الكذب عليه عن مجهول لم يذكره أبو بكر، مع أن هؤلاء وإن كانوا نقلوا عنه ما هو كذب عليه ففي كلامه ما هو مردود نقلا وتوجيها يقول الجمهور: "إنه جمع بين النقيضين".
انظر: الدرء: 238/5، وانظر أيضا: دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي، فقد نقل عن أبي يعلى الحنبلي ما يصدق كلام ابن العربي فيه.

خلط بين المشبهة الحقيقية الذين يشبهون الخالق بالمخلوق وبين السلف الذين يثبتون هذه الصفات مع تنزيهه سبحانه عن مشابهة المخلوقين، ولم يفرق بين الاتجاهين فوقع في الخطأ من حيث يدري أو لا يدري.

فهو مثلا يجعل أهل السنة الذين يقولون نثبت هذه الصفات كما وردت في القرآن والسنة دون الخوض في كيفيتها، ومن يخوض فيها من المشبهة القائلين كما ينقل هو عن بعضهم: ((ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة))، بل أكثر من ذلك -كما نقل هو أيضا عنهم- قولهم: ((إن أراد أحد أن يعلم الله فلينظر إلى نفسه، فإنه الله بعينه إلا أن الله تنزه عن الآفات، قديم لا أول له، دائم لا يفنى))[1] مستدلين على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله خلق آدم على صورته»[2].

فهو يجعل السلف وهؤلاء المشبهة شيئا واحدا ولا يفرق بينهما، بينما الفرق شاسع في حقيقة الأمر.

وما تمسك به هؤلاء المشبهة مما أنكره عليهم ابن العربي هو أيضا مما أنكره السلف، لأنهم جميعا يقولون: إن الضمير في قوله ﷺ: «على صورته» عائد لآدم ليكون أوعظ له، ومن ظن أن صفة الخالق تشبه شيئا من صفات خلقه فهو ضال جاهل، وقد وصف الله نفسه بصفات بعد أن نفى المماثلة بينه وبين خلقه فقال سبحانه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: 11].

وفي هذا إشارة للخلق أن لا ينفوا عنه تعالى صفة سمعه وبصره بحجة أن في الخلق من يسمع ويبصر فيكون في إثباتها تشبيه، بل عليهم إثبات ذلك على أساس: ﴿ليس كمثله شيء﴾.

---

(1) العواصم من القواصم: 2/304-305.

(2) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان، انظر فتح الباري: 3/11، وأحمد في المسند: 2/315.

وهذا الإمام ابن خزيمة وهو إمام من أئمة المثبتة وعلم من أعلامهم المنصوبة يرد على من يستدل بحديث الصورة على ما يذهب إليه من التشبيه فيقول: ((توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: «على صورته» يريد صورة الرحمن عز وجل، تعالى عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: «خلق آدم على صورته» الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب، أراد ﷺ أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب))[1].

وأما رواية: «على صورة الرحمن»[2] التي أضافت الصورة إلى الرحمن تبارك وتعالى فقد قال فيها البيهقي: ((يحتمل أن يكون لفظ الخبر في الأصل كما رويناه في حديث أبي هريرة دائرا على صورته فأداه بعض الرواة على ما وقع في قلبه من معناه))[3]، وأما ابن خزيمة فقد ضعف هذه الرواية من الأساس[4].

وعلى فرض صحة هذا الخبر وصحة إسناده فإن المعنى ليس هو كما توهم البعض، بل المعنى: ((أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه))[5]، وهناك تفسير آخر على هذه الرواية وهو أن المراد بالصورة الصفة، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع

---

[1] كتاب التوحيد لابن خزيمة: ص37.

[2] وهي من حديث ابن عمر من طريق حبيب بن أبي ثابت عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر مرفوعا، وروى أيضا من طريق سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء مرسلا.

[3] انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص291، بتحقيق: الشيخ محمد زاهد الكوثري طبعة دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

[4] كتاب التوحيد لابن خزيمة ص38-39، وكان تضعيفه لهذا الحديث من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده فأرسل الثوري ولم يقل عن ابن عمر.

الثاني: أن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

الثالث: أن حبيب بن أبي ثابت -أيضا- مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء.

ويقول الإمام المازري: ((وروى بعضهم: أن الله خلق آدم على صورة الرحمن، وليس بثابت عند أهل الحديث))، انظر شرح النووي على صحيح مسلم: 177/17.

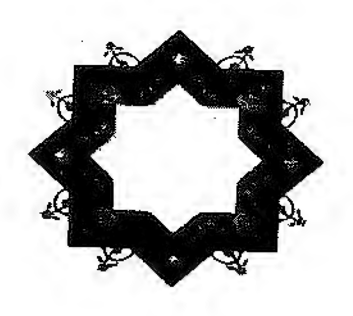
[5] كتاب التوحيد لابن خزيمة: 38-39.

والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله لا يشبهها شيء[1].

ومن هنا يتبين لنا أن أهل السنة المثبتة للصفات لم يقولوا كما توهم ابن العربي، وإنما ذلك قول المشبهة الذين كانوا يشبهون الخالق بالمخلوق، أما أهل السنة فهم أبعد الناس عن ذلك.

وما رددنا به قوله هنا يرد به قوله في سائر الشبه التي طرحها، وظهرت مقاومته لاتجاه المثبتين فيما قاله في شيخ المغرب الإمام ابن أبي زيد القيرواني الذي كان من المثبتة: ((ثم جاءت طائفة ركبت عليه فقالت: إنه فوق العرش بذاته، وعليها شيخ المغرب أبو محمد بن أبي زيد القيرواني فقالها للمعلمين فسدكت بقلوب الأطفال والكبار))[2].

وانظر مقاله في رده على ابن عبد البر في كتابه العارضة [232/2].



(1) انظر فتح الباري: 11/2-3، وهناك تفاسير أخرى ذكرها الإمام ابن حجر في الفتح: 11/2-3، 133/5، 2/6، 60.

(2) انظر: آراء ابن العربي الكلامية: 2/290-291.

موقف علماء المغرب من علم الكلام والأشعرية

لقد رأينا فيما تقدم من البحث أن الأشعرية لم تعرف في المغرب كمذهب يتمذهب به عامة الناس وخاصتهم إلا بعد رجوع ابن تومرت من رحلته المشرقية وتكوينه لدولة الموحدين وتغلبه على المغرب، عند ذلك عمل على فرض المذهب على المنطقة حتى ألفه الناس واستأنسوا به بعد أن كانوا خصومه، وفي ذلك يقول: ابن طملوس[1]: ((إلى أن اتصل بهم علم أصول الدين فاعتقدوا فيه ما اعتقدوه أولا في مذاهب الأئمة من أنه كفر وزندقة، ولذلك قال القحطاني[2]:

يا أشعرية يا زنادقة الورى[3]

فعد القوم كفارا وزنادقة، ثم أنِسوا (أي أهل المغرب) أيضا بهذا المذهب -أعني علم الأصول- ودرجتهم الأيام إلى أن طالعوه وتمهروا فيه حتى كان فيه منهم أئمة وعلماء))[4].

---

(1) هو أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن طلموس ولد سنة 556 من أهل جزيرة شقر، درس علوم الدين والأدب عن أبي القاسم بن وضاح وأبي عبد الله بن حميد القاضي، ودرس المنطق والطب.توفي سنة620. مصادر ترجمته: 362-366 نقله إلى العربية الأستاذ حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، سنة 1955.

(2) لعله الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي، فقد نسب إليه هذه القصيدة عدد من المؤلفين أمثال: المقري في النفح: 142/2، 152، الذيل والتكملة: 372/1، ابن الفرضي: 89/2، الأنساب للسمعاني: 345/10.

وقد طبعت قصيدته هذه بتحقيق محمد بن أحمد بدار الحديث الخيرية بمكة، (ط/1709-1988) مكتبة الوادي للتوزيع.

(3) انظر هذا البيت ضمن القصيدة: ص53.

(4) انظر تاريخ الفكر الأندلسي لانخل جنثالث بالنثيا: ص365.

أما قبل ذلك فكانت الأشعرية محصورة في فئة قليلة من خواص العلماء -كما تقدم الحديث-، أو كما قال السلاوي إن ظهورها كان ظهورا ما، وذلك بسبب العداء المستحكم الذي يتميز به أهل المغرب لكل العلوم العقلية المخالفة لمنهج أهل السنة، وقد وصف لنا المراكشي حال أهل المغرب قبل ابن تومرت وعداءهم لهذه العلوم وبخاصة أيام المرابطين فقال: ((ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما يرجع أكثره إلى اختلال في العقائد في أشباه لهذه الأقوال حتى استحكم في نفسه (أي الأمير) بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه))[1].

إذن فالعداء لم يكن خاصا بالأشعرية بل كان عاما في كل اتجاه يخالف منهج أهل السنة والجماعة، إلا أننا عثرنا على بعض الفقرات والإشارات التي تدل على أنه كان هناك اتجاه خاص يعادي الأشعرية بالذات، كما ورد في بعض الأسئلة التي وردت على علماء المغرب من قبل عامة الناس وخاصتهم، وهو ما يبرهن على اهتمام أهل المغرب بهذا الأمر.

ففي سؤال ورد على أبي الوليد بن رشد (ت520)[2] يسأل فيه صاحبه عن رأي ابن رشد في أئمة الأشعرية أمثال أبي الوليد الباجي وأبي المعالي الجويني ونظرائهما ممن انتحل طريقة الأشعري، ورأيه فيمن يسبهم وينتقص من قدرهم، ونص السؤال كما يلي: ((ما يقول الفقيه القاضي في الشيخ أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفراييني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك

---

(1) المعجب: 236-237.

(2) انظر ترجمته ص والسؤال انظره في فتاوى ابن رشد: 943/2.

وأبي المعالي الجويني وأبي الوليد الباجي ونظرائهم ممن ينتحل علم الكلام ويتكلم في أصول الديانات ويصنف في الرد على أهل الأهواء: أهم أئمة إرشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعماية؟ وما يقول في قوم يسبونهم وينتقصونهم ويسبون كل من ينتمي إلى الأشعرية ويكفرونهم ويتبرؤون منهم وينحرفون بالولاية عنهم ويعتقدون أنهم على ضلالة وخائضون في جهالة: ماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد؟ أيتركون على أهوائهم أم يكفون من غلوائهم؟))، وورد إليه السؤال ذاته من أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين.

وبغض النظر عن جواب أبي الوليد بن رشد عن السؤال فإن مضمونه يشير إلى وجود اتجاه في المغرب كان أصحابه ينقمون على علماء الأشعرية خصوصا ومن ينتحل علم الكلام عموما، وقد أنتهم هذه النقمة إلى سب أئمة كبار كانوا ينتحلون الأشعرية والانتقاص من قدرهم، مع أنهم أئمة أعلام لا ينبغي أن يؤثر اتجاههم الأشعري على جهودهم العظيمة في نصرة دين الله ونشر السنة ومقارعة البدعة.

وإلى جانب الاتجاه العام المعادي للأشعرية وعلم الكلام عموما، وجد اتجاه خاص يتمثل في أفراد أندلسيين كانوا أكثر من شنّع على الإمام الأشعري وأصحابه، ولعل رأس هذه الطائفة هو الإمام ابن حزم -رحمه الله- الذي حمل عليهم حملة شعواء في كتاب له سماه "النصائح والفضائح" ملأه ((كذبا وتشانيع باطلة)) كما يقول القاضي عياض، وشنّع عليهم في كتاب آخر له هو كتاب "اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين"[1]، وهذا الكتاب يقول عنه ابن حزم: " وتقصينا الردّ على هذه المقالة الملعونة – يعني الأشعريّة – في كتاب لنا وسمه " كتاب اليقين في النقض على

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل: 215/4، الفصل في الملل والأهواء والنحل: 4/211-213.

الملحدين المحتجّين عن إبليس اللعين وسائر الكافرين " تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من أهل القيروان اسمه عطّاف بن دوناس في كتاب ألفه في نصر هذه المقالة " [انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل 207/4]

وفي الفِصَل في فصل "شنع المرجئة" شنّع عليهم أيضاء حيث نسبهم إلى الكفر تارة وإلى الضلال تارة أخرى، وإلى البدعة والجهل والتشبيه، ومرة يصف الأشعرية بالفرقة الملعونة، بل إنه لا يتورع عن لعنهم حيث يقول: ((ولعن ابن فورك وأشياعه وأتباعه))[1].

ويصف السمناني بقوله: ((ما أعلم أحدا من غلاة المشبهة أقدم على أن يطلق ما أطلق هذا المبتدع الجاهل الملحد المتهور))، ويقول في موضع آخر: ((هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد))، ويصف الإمام الباقلاني بالجهل فيقول: ((لقد كذب هذا الجاهل وأفك))[2].

ولكن يجب الاعتراف بأن ابن حزم في مناقشته لهم خلط بين الصحيح والسقيم وبين الصواب والخطأ وتقوّل على القوم ما لم يقولوا، فمن أقوال الأشعري التي نسبها إليه كذبا وزورا قوله فيما نقله عنه: ((والأشعري يقول: إن الإيمان عقد بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقية))[3]، وهو كلام لا يقوله مسلم عادي بَلْهَ إماما من أئمة الدين، ولذلك يقول السبكي: ((والذي تحققته بعد البحث أنه (أي ابن حزم) لا يعرفه ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقده، وإنما بلغه أقوال نقلها الكاذبون عليه فصدقها لمجرد سماعه إياها، ثم لم يكتف بالتصديق لمجرد السماع حتى أخذ يشنع))[4].

وبسبب موقف ابن حزم هذا من الأشعرية ورجالها فإننا لا نستغرب أن يقف

(1) نفس المصدر: 221/4.
(2) الفصل2: (1/1-112).
(3) طبقات الشافعية الكبرى: 90/1.
(4) طبقات الشافعية الكبرى: 90/1.

رجال الأشعرية منه موقفا معاديا، وتكون ردة الفعل عندهم قوية، ولا شك أنه قام عليه كثيرون في عهده وبعده إلا أن أبرزهم: أبو الوليد الباجي الذي تقدم الحديث عن مناظرته له والتي كانت سببا في فضحه وإخراجه من بلده، والإمام ابن العربي من بعده الذي تكلم فيه بكلام كبير جاء فيه: ((وكان أول بدعة في رحلتي القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب بسخيف كان من بادية إشبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب إلى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأئمة يضع ويرفع ويحكم لنفسه ويشرع وينسب إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول على العلماء ما لم يقولوا تنفيرا للقلوب عنهم وتشنيعا عليهم...)) الخ كلامه في هذا المعنى(1).

ولكن الإمام الذهبي لم يعجبه هذا الكلام من ابن العربي فأنشأ يقول بحدة: ((لم ينصف القاضي أبو بكر -رحمه الله- شيخ أبه في العلم، ولا تكلم فيه بالقسط وبالغ في الاستخفاف به، وأبو بكر على عظمته في العلم لا يبلغ رتبة أبي محمد ولا يكاد فرحمهما الله))(2).

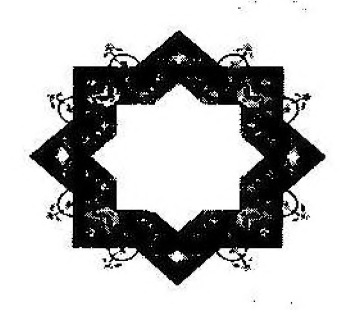
وقد ألف ابن العربي عدة مؤلفات في الرد على ابن حزم غير الرد الذي ورد في كتابه "العواصم من القواصم" -كما أوردت بعضه هنا- منها كتاب "الغرة في الرد على كتاب الدرة"(3)، وكتاب "النواهي والدواهي" الذي قال في سبب تأليفه: ((وكان قد جاءني بعض الأصحاب بجزء لابن حزم سماه "نكت الإسلام" فيه دواهي فجردت عليه نواهي))(4).

وهذا الكتاب الذي ألفه جاء من بعده من ألف في نقضه كتابا: يقول ابن عبد

(1) العواصم من القواصم: 2/336-338.
(2) سير أعلام النبلاء: 18/190.
(3) كتاب الدرة فيما يجب اعتقاده، طبع بتحقيق ودراسة الدكتورين أحمد بن ناصر الحمد وسعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي.
(4) العواصم من الواصم: 2/338، أزهار الرياض: 3/95.

الملك المراكشي: ((ولأبي عمر أحمد بن محمد بن حزم كتاب سماه "الزوابع والدوافع" تابع فيه القاضي أبا بكر بن العربي على فصوله في كتابه المسمى "بالدواهي والنواهي" في الرد على ابن حزم، وحاذاه فيه كلاما بكلام وحديثا بحديث وفقها بفقه ونظما بنظم ونثرا بنثر وإقناعا بإقناع والله يجازي الجميع بفضله))[1].

هذه بعض المواقف لأهل المغرب قبل انتشار المذهب الأشعري به، أما بعد ذلك وبعد المهدي ابن تومرت فإنّ الأمر تغير وأصبح المذهب الأشعري هو المذهب المتبع من أهل المغرب.



[1]- الذيل والتكملة: 1/408-409.

بعض مراجع البحث

- القرآن الكريم.
- ابن تيميّة وموقفه من قضيّة التأويل للجليند.
- ابن حزم لأبي زهرة.
- الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب الأندلسي.
- أرآء أبي بكر ابن العربي الكلاميّة للدكتور عمّار طالبي.
- الاستقصاء للناصري.
- الأسماء والصفات للبيهقي.
- أضواء جديدة على المرابطين للدكتورة عصمت دندس.
- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين للدكتورة عصمت دندس.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- البرهان في أصول الفقه للجويني.
- تاريخ الفكر الأندلسي لآنخل جنثالث بالنثيا ترجمة حسين مؤنس.
- التبصير في الدين للاسفراييني.
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر.
- تحفة القادم لابن الأبّار.
- تهذيب اللغة للأزهري.
- درء تعارض العقل والنقل لابن تيميّة.
- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي.
- الديباج الذهب لابن فرحون.
- الذيل والتكملة لابن الأبّار.

- سير أعلام النبلاء للذهبي.
- صحيح مسلم.
- الصلة لابن بشكوال.
- الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزيّة
- طبقات الشافعيّة الكبرى للسبكي.
- العواصم من القواصم لابن العربي.
- الغنية للقاضي عياض.
- فتاوى ابن رشد.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي.
- فهرست ابن خير الإشبيلي.
- كتاب التوحيد لابن خزيمة.
- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.
- المعجب للمراكشي.
- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي لابن الأبّار.
- المعلم بشرح مسلم للمازري.
- المقدّمات الممهّدات لابن رشد.
- مقدّمة ابن خلدون.
- منهاج السنّة النبويّة لابن تيميّة.
- المهدي ابن تومرت للنّجار.
- المواقف لعضد الدين الإيجي.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني.
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

فهرس الموضوعات

